ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 38 - العدد 1092 - الجمعة 20 شوال 1425 هـ - الموافق 3 دجنبر 2004

الصلاة إلى سترة

المخاشنة والملاطفة

الموت وسكراته

مسطرة زواج معتنق الإسلام بالمغرب

عقوق الوالدين

مبادئ أصلية في حق الإنسان

ما لأجله خلق الإنسان

مقدمات الموافقات للإمام الشاطبي

المثل العليا تتحقق بالإيمان والعمل

لقد انزلق البعض ممن يدعي الإسلام – عن الجادة السوية والمنهج السليم الموصل إلى ما فيه صلاح الحال والمآل فكان من مخلفات هذا الانزلاق الذي أصاب جسم الأمة الإسلامية أن أظهر مفاهيم برزت من خلالها فرق وطوائف بعد الرسول صلى الله عليه وسلم تسبب ظهورها في تشرذم الإسلام وضعفه وتصادم آرائه مما جعل المسلمين تتجاذبهم تيارات مصنوعة زرعت في داخل هذا المجتمع الإسلامي البريء لكي ينشغل في نفسه بطفيليات تلهيه عن العمل والتضامن لتحقيق تقدمه وازدهاره ونشر عقيدته السليمة المبنية على الإيمان والعمل، وحب الصالح العام لجميع أفراد الإنسانية. فلقد بين الله لنا في كتابه العزيز أن فصيلة الإنسان من بين المخلوقات التي لا يصلحها إلا الإيمان والعمل وإلا فهي في خسران دائم... قال الله تبارك وتعالى جل عن قائل: "والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر" فهذا التوجيه الرباني علينا أن نأخذ به عباد الله ونطبع به معتقدنا وعملنا، إننا نرى في هذه السورة القرآنية أن الله جلت قدرته أقسم في صدرها بالزمن لنتنبه على قيمة مردودية العامل الزمني ولا نتركه يضيع ولنشغل الوقت الثمين بما هو أفضل ونجعل نصب أعيننا كتاب الله وسنة نبيه ونعمل بهما كما طبقهما سلفنا الصالح حرفيا، سلوكا، وأخلاقا، وعملا، وتواصلا، وتوجيها، فكانت بذلك أمة الإسلام المطبقة لما جاء به نبي الرحمة نبراسا وهاجا ومثلا يحتذى به فعمت دعوتها السليمة المبنية على الإيمان الصادق والعمل البناء في ظرف وجيز كثيرا من أقطار العالم ودخلتها الناس زرافات ووحدانا عن قناعة وصدق، فازدهر الإسلام في صدر الدولة الإسلامية لصدق دعاته قادة وشعوبا ولسلامة توجههم الإنساني الرحماني النبيل الذي بنوه في مسيرتهم الربانية على الإيمان الصحيح والعمل البناء وبتنفيذهم لما جاء في سورة العصر وغيرها من آيات الكتاب الموجهة للإيمان الصادق لما بينت سنته صلى الله عليه وسلم الصحيحة بهذا التوجه الموفق نال المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام ما يصبو إليه من انتشار الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن والعمل على تقدم هذه الأمة الإسلامية الرحمانية بجميع شرائحها، لكون هذا المجتمع الإسلامي النقي في سلوكه المستقيم في معتقده السليم لا ظلم فيه ولا إرهاب، ولا رهبانية، ولا هضم لحقوق الغير، إنه مجتمع يدين بدين الرحمة ويسعى به معتقده السني إلى عبادة الله جل وعلا والعمل على نفع البلاد والعباد والإيمان بما آمن به نبي الرحمة وشفيع الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: قال الله تبارك وتعالى: "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون كل آمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" سورة البقرة الآية : 284.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

الحاج الغيور التنبكتي يمجد المولى سليمان ويشتكي إليه

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ في المقال السابق ذكرنا أن الحاج أحمد بن القاضي الولاتي الغوتي التنبكتي لاحظ في طريقه إلى الحج، بين سنتي:1222 و1224هـ بالسفن التي تنقل الحجاج إلى الحجاز أن البحارة يقومون بأعمال منافية للدين ومنهم البحارة المغاربة، ومعلوم أنه خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الميلاد أصبحت المواصلات البحرية عمدة التجارة عبر الأطلسي والمتوسط،واستعملها الحجاج السودانيون انطلاقا من مراسي وموانئ المغرب العربي، ومنهم علماء مشهورين من السودان الغربي مثل: الشيخ أحمد بن طوير الجنة الوادانى (ت:1849م) والشيخ محمد بن يحيى الولاتي: (ت:1912م)وأحمد بن القاضي التنبكتي الذي بدأ رحلته سنة:1807م، والسفر إلى الحجاز بالسفن من الغرب الاسلامي في هذه الفترة كان أقل كلفة من السفر، عن طريق البر، والغالب أن سكان حوض النيجر وحوض السينغال كانوا يتجهون برا إلى المراسي المغاربية، ومنها يركبون البحر، ومن المراسي المشهورة في هذا العهد: مرسى الصويرة، ومرسى سلا... ومراسي أخرى بكل من الجزائر وتونس، وكان إخواننا السودانيون يفضلون زيارة مدينة فاس، وتونس العاصمة، لشهرتهما العلمية والسياسية، وزادت الرغبة في الوصول إلى فاس بعد انتشار الطريقة التيجانية في مطلع القرن التاسع عشر بغرب افريقيا، ومن الدواعي والبواعث الأكيدة لزيارة المغرب وجود إمارة المؤمنين، وبخاصة على عهد الدولة العلوية الشريفة، وكان علماء السودان يرغبون في الوصول إلى المغرب لتقديم بيعتهم لسلاطينه، ولإسماعهم القصائد المدحية التي نظموها، وفي نفس الوقت للاستفادة من منحهم وعطاياهم السخية، وبالإضافة إلى ذلك لترسيخ أواصر الصلة العلمية والروحية بين المغرب وبين هذه الأقطار، تلك الصلة القديمة التي ابتدأت على عهد المرابطين وتمتنت على عهد السعديين، واستمرت على عهد الشرفاء العلويين، فعلماء السودان والصحراء الغربية كانوا يتوقون لتقديم بيعتهم إلى أقرب إمام إليهم، حتى لايصدق عليهم الحديث : ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" وزادت هذه الرغبة بعد القضاء على إماراتهم بسبب الغزو الاستعماري لبلادهم، ومبايعة الإمام بن تمام الدين، وكمال الإيمان، فهذه الدوافع والأسباب كانت تجعلهم يفضلون الوصول المغرب، فالحاج أحمد بن القاضي التنبكتي يصرح ويؤكد بأن زيارته لفاس كانت بسبب وجود أمير المؤمنين المولى سليمان، "الكوكب الوقاد، سليل بني هاشم الكرام ، العالم العلامة أمير الأمراء، ختام السلاطين، وكبير من كبار علماء السنة، زاده الله عزا وشرفا..." فهو قد تاقت نفسه للاتصال به، وتقديم رسالة النصح إليه، قد حَبَّر رسالته بعناية، وذكر فيها ماشاهده وهو على ظهر السفن المغربية من مناكر منافية للدين، ويطلب من الامام العلامة الشريف النسب، أن يأمر بإزالتها، والبعد عنها: "ويقول: "ومقصدنا الآن النصيحة" ومن الملاحظات التي لاحظها ابن القاضي التنبكتي أن البحارة المغاربة أصبحوا في هذا الوقت يعتقدون اعتقادات لا علاقة لها بالدين الاسلامي، ومن ذلك اعتقادهم بأن :"بب" . الريح الذي يدفع السفينة في الاتجاه المطلوب. لايقوم بذلك إلا بترك قراءة القرآن، وترك الأذان، وعدم مباشرة الرجل لزوجته، وترك البول والغائط عند غروب الشمس" يقول: "وقد جهل هؤلاء الزعانف. الجماعة التي ليس لها أصل واحد . أن النعمة من عند الله وطاعته، وتصديق كتابه وذلك قوله عز من قائل: "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا بما كانوا يكسبون" (الأعراف/الآية:96)والريح مقهور مغلوب بقدرة الله الأزلية، ولايتحرك إلا بإذنه، لكن هؤلاء عكسوا الأمر، وجعلوا الريح يتصرف بنفسه، (كذا) ولايحب القرآن، وبذلك الاعتقاد كرهوا قراءة القرآن، وهجروا ما جاء به التوحيد من الصلاة والاستقامة، وبدلوا دين الله تبديلا، وكفروا بذلك لأنهم لايعلمون بما في القرآن، بل إنما علموا بما جاءهم من عند شيخهم اللعين إبليس..." وبعد هذا يأخذ في سرد الآيات القرآنية ولكثرتها وتسلسلها، يبدو أنه كان يحفظ القرآن جيدا، ويسهل عليه الاستدلال به، ومن الآيات التي استدل بها: "قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وماأنزل إليكم من ربكم"(المائدة/الآية:68)ثم يقول: "هؤلاء ضيعوا القرآن كما ضيع اليهود والنصارى توراتهم وإنجيلهم، حتى بدلوا أحكام القرآن، وتشاءموا به، وتطيروا به، وكيف لايكفرون بتطيرهم بالقرآن، وقد ذم الله قوما تطيروا بمخلوق، فضلا عن كلامه القديم، كما قال خالقنا في حقهم: "فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه، ألا إنما طائرهم عند الله، ولكن أكثرهم لايعلمون":(الأعراف/الآية:131)

وهؤلاء أن جاءتهم الريح، قالوا هذا من تركهم قراءة القرآن، والأذان، ونحوهما، وإن جاءتهم الريح من "بُرُوٌ" أي من جهة مقدم السفينة، (و "بُبٌ"و "بُرُوٌ" من مصطلحات البحارة) (وبرو) ريح معاكسة، والمؤلف يذكر الريح وهي مؤنثة. قالوا هذا من قراءة القرآن... ويبدو والله أعلم أن البحارة المسلمين ببحارة النصارى الذين كانوا يستهينون بالدين، فتعلموا عليهم ولقنوهم ضمن المصطلحات البحرية مثل: "بب" و"برو" السابق ذكرهما لقنوهم الإلحاد والانحراف عن الدين، مع قلة أو انعدام الموجهين والمرشدين، لبعدهم عن المساجد والفقهاء والناصحين، لأنهم يقضون جل حياتهم في السفن بالبحر، ولذلك أصبحوا يبيحون لأنفسهم شرب الخمر، وممارسة الشذوذ، وهذا معهود فيهم منذ زمن طويل، وقد ذكر التادلي في التشوف إلى رجال التصوف: أن يحيى بن موسى المليجي الصوفي رأى خلال إحدى حجاته البحارة وهم يعملون عمل قوم لوط، فلم يحتمل رؤية ذلك الحرام، وألقى بنفسه إلى البحر، لكن الماء لم يتجاوز كعبيه، فمشى إلى أن وصل إلى اليابسة بعد أن شهر ثيابه، وحمل متاعه، فلما رآه صاحب السفينة قال: أجن هذا؟! أم اعتراه حمق؟ ودعا الله، وقال: اللهم إنك تعلم أني فررت من مشاهدة معصيتك فأعني وكن معي.. فنجاه الله تعالى"(ط.1958 هـ:103 ...) والحكايات في هذا الموضوع متداولة، وبخاصة عدن الاسبان في نكتهم وأمثالهم.

هذا وقد تكون كثرة الشكايات البحارة من دوافع توقيف عمل السفن بالبحر على عهد السلطان المولى سليمان بالإضافة إلى ضغوط أجنبية، وفي مقدمتها الضغوط الفرنسية.

ويزيد قائلا عن البحارة المغاربة: "والعجب مما قاله هؤلاء الزعانف، قالوا: إن البحر مَلِكٌ وسلطان، والمركب بيت الله، ولا يجوز لأحد أن يجامع أهله فيه، ولايؤذنون، ولايصلون بل دأبهم فيها شرب الخمر، وصلاتهم اللواط، ذكرهم سب دين الإسلام، وقالوا إن المركب والبحر والريح لاتحب القرآن والأذان والصلاة، وتمنع المركب من السير... ويخلل كلامه بالحديث عن التوحيد، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى أن يقول: "إن أردت تصديق ما قلت، فانظر مايفعلون عند غروب الشمس من الدعوات التي لم يرد بها كتاب ولاسنة. ومن منعهم الناس من البول والغائط عند ذلك. أي عند غروب الشمس. وذلك كله عبادة لإبليس اللعين المرجوم...آه،آه قد ذهب الدين، وصدق رسول الله الكريم حيث قال: "بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا" (مسلم:كتاب الايمان)

(يتبع)

المخاشنة والملاطفة

■ الأستاذ: أحمد باكو

■ كلمتان فصيحتان من لاطفه بمعنى لاينه وعامله برفق، وخاشنه بمعنى حارشه ولم يلاينه.

وفيهما من قوة التعبير عن معناها، ومن التطابق بين المبنى والمعنى، مايجعلها مطلوبتين للاستعمال العادي والأدبي معا.

فما أكثر المقتضيات التي تستدعيهما في لغة الأدب والصحافة والخطابة والجدال، وماأكثر مايستعمل الكتاب والمتكلمون للتعبير عن معناها، عبارات معيبة بعدم المطابقة لمقتضى الحال، من حيث التعقيد أو البعد عن الايجاز أو غيرذلك من العيوب البلاغية.

ومن هذا مثلا تعبيرهم عن معنى الملاطفة أو التودد، بالمغازلة التي لايخفى أن لها مقاما خاصا، لايليق استنزالها منه ولو بذريعة المجاز، الذي له ضوابط لابد منها وإلا كان نشازا.

وأحد المخاشنة والملاطفة من خشن يخشن خشونة (من باب كرم يكرم بضم العين فيهما) بمعنى حرش وغلظ ملمسه فهو خشن، ولطف يلطف لطفا ولطافة (من باب كرم أيضا)رق(1).

وقد خرج من المادتين الكثير مما نفعله أو نتصف به في حياتنا وسلوكنا فيكون مدحا أو قدحا فاختصت الخشونة بما يسوء ويؤذى إلا قليلا مثل فعل اخشوشن الدالة على سلوك نافع معاشيا واقتصاديا.

وأما اللطافة فقد خرج منها كثير من المعاني الحسنة، ووصفت بها عدة أسماء جميلة محبوبة، كما خرج منها أيضا بعض الكلام المقدس حيث ورد في القرآن الكريم مرارا اسم أو صفة لله تعالى، بمعنى البار بعباده والمحسن إليهم وبمعنى العالم بخفايا الأمور.

وكفاها أن خرج منها اسم جليل القدوس أسماء الله الحسنى، وهو (اللطيف) الذي له شأن عظيم في الذكر واستنزال الفرج، وله أيضا في تاريخنا المغربي أيام المحن والشدائد ملاحم مشهورة!

إن المخاشنة والملاطفة، أو الملاطفة والمخاشنة (بالترتيب الطبيعي الذي أوجبه المناطقة) كلمتان فصيحتان بليغتان جديرتان بالتذكير بهما، لاستعمالهما في الكلام المنطوق والمكتوب، ففي محاوراتنا ومناظراتنا ومعاملاتنا كثير من مقتضيات الحال التي تستدعيهما.

بل إن مادتهما بعمومها وبقية أوزانها، تختزن كثيرا من المعاني المجازية المفيدة بلاغيا حرص بعض المعاجم على ايرادها وتقريبها (2).

إن الملاطفة والمخاشنة اذن من الكلم الفصيح البليغ والمهمل المفيد الذي يجب التذكير به لاستعماله لتنقية كلامنا من الدخيل والركيك.

*****

1. انظر المنجد والمعجم الوسيط ولسان العرب.
2. انظر أساس البلاغة للزمخشري مثلا.

الوثاق

نزهة الناظر والسامع في إتقان الأداء والإرداف للجامع

للعلامة الشريف سيدي مولاي ادريس بن محمد بن احمد الحسني

■ الأستاذ: إدريس كرم

الحمد لله الذي نزل كتابه الذكر الحكيم، واختار من أوليائه لتجويده ذو الشرف العميم، وأجزل الثواب لمن تولاه بلحون العرب والقسطاس المستقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي أبدع الاعجاز في سلك نظامه،،، وأودعه في صدور المصطفى فكان من سبق قوله تعالى «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله مجلي الكرب القائل، اقرأوا القرآن بألحان العرب، ورضي الله تعالى عن أصحابه الذين هم أساتيذ مقامات الفرق والجمع، وعلى أفضليتهم وقع الإجماع، ودلت قواطع السمع، وعن التابعين وأتباعهم أئمة القراءات بأمرهم، ورحم الله من جوده ودبره وجزا سيد السادات الذين صنفوا في الاختلاف آيته وحروفه الكتب المعبر عنها من نشر كنزه ومفاتحه، وأوضح إرشاده ومصباحه، وأعلا بالكفاية والقصيد والمفيد فبصر المجتبى وأنشد الشريد، ومنهم من أبرز حرز الأماني في روضة التجويد، بتلخيص العبارات وحصر المفردات والتكميلات المفيدات، فانتهى من غاية الاختصار بكتاب الإشارات، ومنهم من استنار في بستانه الشمعة ويملج يدروه عقد اللآلي وذهب التركار وجر كتاب الشرعة وسطر فجره فامتع بعنوانه الكافي الجامع للسبعة أسبغ الله عليهم ظل عزه وأسكنهم بحبوحة جنانه بجاه مولانا محمد المصطفى الشريف صلى الله عليه وسلم.

الحلقة الأخيرة

■ وأما السوسي فلابد من الرجوع إليه من المد، ولا يدعى أنه اندرج مع الدوري في قصره، لأن الدوري له وجهان كقالون، فمحل المخالفة بينهما الفتح والإمالة فقط دون السابق، ولا كذلك السوسي، لأن مخالفته في المد والإمالة فلا يصح اندراجه بسبب الوجه الذي ليس له غيره موافقا لما قبله وما بعده، وهنا ليس كذلك، لأن القصر المعتبر اندراجه فيه قرأ فيما بعده بما هو أجنبي له وعنه،

❖❖❖❖❖

نعم لو دخلنا بالإمالة تصح، لكن يعسر علينا المقدم في التلاوة وهو بن كثير إذ لا إمالة له، والذي يسلم ويصح في هذا ونحوه أن يقدم ابن كثير، ويمر به إلى قوله تعالى أينا اشد ثم يرجع إلى قالون فيوتي له بالمد والقصر، ثم يمر إلى قوله وأبقى فتدخل فيه بالفتح موافقا للسابق، ثم يعطف البصري فيكون الدوري على وجهيه كما هو له، والوجه الذي يندرج فيه السوسي يكون سالما لأن الإمالة التي يندرج فيها أتت على غير أجنبي له، وهو القصر فقس على ذلك وافهم،

❖❖❖❖❖

وحكم الآية للباقين واضح وكذلك لو قرأت قوله تعالى قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين، فلو قدمت الادغام ووقفت على رب عصف قالون فلا تقدم إلا القصر، ليكون اندراج السوسي مسلما على تقدير لو بلغت به إلى بما أنعمت فلا تقصر إلا بالقصر وإلا لم يصح ذلك، ويلزمك الرجوع إلى السوسي لما تقدم من قوله بلا خلل، وفي قوله ولا إهمال وللباقين وقس عليه ودع التقليد لأن فيه ما لا يخفى،

❖❖❖❖❖

هذا حكم السبعة، وكذا الحكم للعشرة، ولم نترك التمثيل لهم لأن أصل روايتهم والحمد لله من عندنا، فتقرأ إن شاء الله مع السادات بهم بما يوافق الصواب بفضل الله تعالى.

❖❖❖❖❖

وأما لو قرأت بالطرق العشرية لنافع قوله تعالى في الأعراف فكيف ءاسى على قوم كفرين فتاتي للأزرق ستة أوجه، ثلاثة في الهمزة وثلاثة في الألف المال، وكلها مع الفتح والإمالة في الف ءاسى، ثم تمر إلى قوله كافرين، فتدخل بالإمالة للآخرين وهما يوسف الأزرق وعبد الصمد العتيق، ثم تردف الفتح ولا يخل إما ان يتأخر قصر الهمز مع الفتح في ءاسى فيندرج في فتح كفرين المروزي وأهل الضم، وترجع إلى أهل الإمالة وهم المعبر عنهم بأهل الإسكان، ولابد منه، ولا يقال ليس لهم إلا الفتح في كفرين فاندرجوا وأتوا على الوجهين.

❖❖❖❖❖

ليت شعري ومتى حكم لهم بالوجهين حتى يدعى ذلك؟ وأما أن يتأخر قصرها مع الإمالة فتردف الفتح في كفرين بعد بالإمالة فيه للآخرين المذكورين فيندرج في ذلك أهل الإمالة وهم أهل الاسكان كما تقدم، ثم لابد من الرجوع إلى المروزي، وأهل الضم ولابد عن أيضا أنهم أتوا على الوجهين إذ لا وجهين، وعلى أنه لو سلم فلهم الفتح في كفرين، والفتح مع القصر في ءاسى، وهذا الفتح الأخير أي ءاسى أتى على أجنبي لهم وهو إمالة الف ءاسى فافهم، وقس على ذلك ولا تغتر لما عليه من تحقيق عنده، وكذلك لو قرأت لسائل الناس قوله تعالى، ولكن أكثر الناس يومنون بالتحقيق اندراج سائر أهله لأنهم على وجههم الذي هو الفتح المتأخر في التلاوة، كما اندرج الدوري لأنه على الوجهين الإمالة والفتح وهما له وتحقيقه مسلم، ثم تردف البدل فيندرج السوسي مسلما على الوجهين أيضا إذ هما له من دون مانع ويندرج معه ورش وحمزة في البدل، لأنه أي البدل على وجههما الذي هو الفتح فاندراجهما مسلم على غير أجنبي لهما فافهم.

❖❖❖❖❖

ويجوز أيضا تقدم البدل مع التركيب المذكور لأنه يكرر السوسي ويندرج معه ورش وحمزة على الفتح المتأخر فهو غير أجنبي لهما، فاندراجهما محض تحقيق، ثم تردف الدوري بالتحقيق على الوجهين السابقين، إذ هما له من دورين، ويندرج معه الباقون، فاندراجهما مسلم تحقيقا إذ هو على الفتح، وهو لهم فافهم هذا كله مع تقدم الإمالة.

❖❖❖❖❖

وأما إذا قدمت الفتح اخرت الإمالة فلا تخلوا اما ان تقدم الدوري أو السوسي، فإذا قدمت الدوري فلا يندرج معه غيره، وأهل التحقيق لأن اندراجهم غير مسلم، إذ التحقيق على أجنبي لهم، ولا يسلم ادعاء الوجهين إذ لا وجهين لهم ثم تاتي بالبدل للسوسي فيصح اذ هو على الوجهين وهما له، ولا يندرج معه ورش وحمزة لأن البدل الذي يندرج فيه أتى على أجنبي لهما، ولا تصح أيضا دعوى الوجهين إذ لا وجهين لهما.

❖❖❖❖❖

وليس هذا أي ما تقدم جوازه بتركيب كما يزعمه من لا معرفة له بدلك ولا يغيره وإنما يسمى هذا إدخالا وعطفا، وهو سايغ جار على المذهب المعلوم المعمول به لدينا كما قدمنا، وإن قدمت السوسي أي دخلت بالبدل فيندرج معه ورش وحمزة تحقيقا لأنك لو وصلت الفتح المقدم لما قرأت إلا بالبدل وهو مسلم، ثم تعطف التحقيق للدوري فيندرج مع أحد من أهل التحقيق بالنسبة اليهم أتى على أجنبي عنهم، ولا يقبل قول مدعى الوجهين إذ لا وجهين لهم فافهم، فقل من يجد له وهذا ونحوه هو المسمى بالتركيب عندهم وهو فاسد، لما وضحنا، ولا يصح إلا على الجمع الحرفي، ونظير هذا قوله تعالى: إن الله جامع المنافقين والكفرين إلى قوله وإن كان للكافدين، ويدخل بما تأخر في اليد من الإمالة وتقف، ثم تاتي بالفتح وتمر الخ.

❖❖❖❖❖

ويدعى أن عاصما والشامي ذهبا مع علي، فإن طولب بذلك مع إقامة الحجة عليه ادعى أنهما مرا فيندرجين في الفتح، ليست شعري وأي فتح لهما حتى يدعى مرورهما، وإن ادعى انهما مرا على الوجهين، ليت شعري وأي وجهين لهما حتى يدعى مرورهما، ومتى حكم لهما بالإمالة في الكافرين، وهذا خلل وجهل من قائله وقاريه على أنه اتبع ذلك، فهذا هو التركيب الفاسد والعياذ بالله من فاعله، ولا يصح إلا على الجمع الحدفي ويلزمه انه قرأ في آية واحدة بالجمع الحدفي وغيره للسبعة، للبعض منهم بكذا وللأخر بكذا.

❖❖❖❖❖

وبالجملة فعلى هذا المثال تقاس النظائر وبهذا تفتح البصائر وينفسخ حبل التقليد من ربقة المرء المسعف، وياوي من التحقيق إلى ربوة ذات قرار.

❖❖❖❖❖

ومعين المنصف على أن الذي ذكرت في هذا التعليق بالنسبة إلى هذه الطريق ما هو إلا كما قيل بعض من كل، أو قل من جل، فمن أراد بسطه وتحقيقه فعليه بالمطولات الوثيقة كالإعلان لأبي القاسم الصفراوي، غير أنه لم ياتي فيه عليل النفس يداوي، وقد نقل كلام الآية صاحب الفجر فحضي بالجزيل من الأجر، وجاء في هذا المذهب وأحسن كل الإحسن الجلال السيوطي في الإتقان وضرب في الإبداع بوضع درر هذه الطريقة بأنجم وأغرب في جمعه وكنزه الحافظ الشمس في نشره، فجزاه الله أفضل ما جزا عالم عن اتباعه وملجا من أشياعه، إذ من نشر شموسه نستمد، وبمعين سلفنا له نزيل الظماء نريد، رحم الله جميعهم وبعمهم في الفردوس وجعلها مقامهم وتعمنا معهم.

خاتمة:

في قدر ما يوخذ به لاشك أن السلف رضوان الله عليهم كانوا لا يزيدون على عشر آيات لكاين من كان، وأما الخلاف فراوه بحسب الأخذ، قال الحافظ بن الجزري، والذي استقر عليه العمل الأخذ بالإفراد بجزء من أجزاء ماية وعشرين، وفي الجمع بجزء من أجزاء مائتين وأربعين اهـ،

❖❖❖❖❖

ولم يجر له أحدنا حدا، وهذا اختيار الحافظ السخاوي واستدل بابن مسعود رضي الله تعالى عنه، قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس واحد من أول سورة النساء حتى إذا بلغ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كما ثبت في الصحيح وقد قرأ يعقوب الحضرمي على سلام الطويل القرآن في سنة ونصف، وقرأه في خمسة أيام على الشهاب بن شريفة، وقرأه الشهاب على سلمة بن المحارب في تسعة أيام، وحكى الشمس عن شيخه أبو العباس بن اللباب أنه قرأ على شيخه ابا العباس ابن مخلد القرآن كله بحرف ابن عمر ومن روايته في يوم واحد، ولما ختم على الشيخ قال هل رأيت أحدا يقرأ هذه القراءة، فقال لا تقل هكذا، ولكن قل هل رأيت شيخنا يسمع هذا السماع.

❖❖❖❖❖

وقد قرأ نجم الدين أبو عبد الله بن عبد المومن الواسطي مؤلف كتاب الكنز، القرآن كله جمعا للجميع بالجمع الكبير في سبعة عشر يوما على الشيخ تقي الدين الصايغ لما رحله الله لمصر، وقرأ الشمس بن الجزري على شمس الدين الصايغ أول النمل ليلة الجمعة وختم ليلة الخميس من ذلك إلا سبع للقراءة أجمع بالشاطبية.

❖❖❖❖❖

قال الحافظ بن الجزري ومجلس آخر ابتدأت فيه القراءة من أول الواقعة ولم ينزل حتى ختمت ورجل إلى رجل من الحلب فقر لابن كثير في خمسة والكسائي في سبعة انتهى.

❖❖❖❖❖

ومن غرايب وأعظم ما يحكى في هذا الباب ان الشيخ مكي الدين عبد الله بن منصور المعروف بالاسمري دخل يوما إلى الجامع الجيوشي بالاسكندرية فوجد شخصا ينطر إلى أبواب الجامع فوقع في نفس المكي انه رجل صالح، وأنه يعزم على الرواح إلى محله، فجاء ليسلم عليه ففعل ذلك وإذا به أبو إسحاق ابراهيم بن وثيق الاشبلي، ولم يكن لأحدهم معرفة بالأخذ ولا رواية، فلما سلم عليه قال للمكي انت عبد الله بن منصور، قال نعم، قال ما جئت من المغرب إلا بسببك لاقرئك القرآن.

ابتدأ عليه المكي في تلك الليلة من أولها القرآن من أوله جمعا للسبعة وعند طلوع الفجر إذا به يقول من الجنة والناس، فختم عليه في ليلة واحدة السبعة القرآن كله، وإذا تقرر هذا فليكن موريدا للقراءة ومتبعي تحقيقها وشادها، حافظ كتاب التلاوة، عارفا بطرقه عالما باصطلاحه، وليكن متقنا للقراءة افرادا ليصير له التلفظ بالاوجه ملكة، فإذا ثم له هذا الأمر فليطلب من الله التوفيق والسبيل إلى الحقيق.

❖❖❖❖❖

وهذا حد ما قصدت جمعه والحمد لله الذي من علينا بتمامه بعد صلاة الصبح يوم الجمعة شهر بل الخامس والعشرين من شهر الله المعظم شعبان عام 1116 عرفنا الله خيره ووقانا ضره، وجعلنا من المغفور لهم امين، والحمد لله رب العالمين انتهى، والسلام.

في ظلال الحديث:

الحديث الخامس عشر والمائة: الزهد في الدنيا

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.." رواه البخاري

تخريج الحديث:

رواه البخاري، كتاب الرقائق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كأنك في الدنيا غريب أو عابر سبيل (6416/8/13)، والترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ماجاء في قصر الأمل ح2255، وابن ماجة، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا ح4104، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب ح4534...

سند الحديث:

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، وقال: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو المنذر الطفاوي عن سليمان الأعمش قال حدثني مجاهد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا علي بن عبد الله: هو حافظ العصر وقدوة أرباب هذا الشأن أبو الحسن علي بن عبد الله ابن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم المديني ثم البصري صاحب التصانيف، ولد سنة 161 سمع أباه وحماد وابن عيينة وطبقتهم وعنه الذهلي والبخاري وأبو داود وأبو يعلى والبغوي وأمم، قال أبو حاتم كان ابن المديني علما في الناس في معرفة الحديث والعلل وماسمعت أحمد بن حنبل سماه قط إنما كان يكنيه تبجيلا له. وعن ابن عيينة قال: يلوموني على حب علي بن المديني والله لما أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني. وقال أبو داود: ابن المديني أعلم من أحمد باختلاف الحديث، ومناقب هذا الإمام جمة، مات بسامرا في ذي القعدة سنة 234. قال العلامة محي الدين النووي: لابن المديني نحو من مائتي مصنف.

حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو المنذر الطفاوي: هو أبو المنذر محمد بن عبد الرحمن الطفاوي البصري. قال: يحيى بن معين صالح وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين ليس به بأس وقال ابن حبان وجدت في كتاب أبي بخط يده سئل أبو زكريا يعني يحيى بن معين عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوي فقال: قدم علينا ها هنا لم يكن به بأس البصريون يرضونه وقال علي بن المديني كان ثقة وقال أبو داود: ليس به بأس وقال أبو حاتم ليس به بأس صدوق صالح إلا أنه يهم أحيانا وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. مات سنة 187. روى له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

عن سليمان الأعمش: هو الحافظ الثقة شيخ الإسلام أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي من الطبقة الصغرى من التابعين، أصله من بلاد الري رأى أنس بن مالك وحفظ عنه، قال ابن المديني: له نحو من ألف وثلاثمائة حديث، وقال ابن عيينة: كان الأعمش أقراهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض، وكان رأسا في العلم النافع والعلم الصالح توفي رحمه الله بالكوفة في ربيع الأول سنة148 وله87سنة.

قال حدثني مجاهد: هو أبو الحجاج، مجاهد بن جبر الإمام المخزومي مولاهم المكي المقرئ المفسر الحافظ مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، سمع عددا من الصحابة. قال مجاهد عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت. وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير، وقال الأعمش كنت إذا رأيت مجاهدا ازدريته مبتذلا كأنه خربندج قد ضل حماره وهو مهتم لذلك فإذا انطق خرج من فيه اللؤلؤ، توفي سنة 103بمرو الروزوله 83 سنة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر، القرشي العدوي المكي ثم المدني رضي الله عنهما، ولد في السنة الثانية من البعثة، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه وأمه وعمره إحدى عشر سنة، رده النبي صلى الله عليه وسلم بدر إشفاقا عليه لصغر سنه، أول غزواته الخندق ولم يتخلف بعدها أبدا، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وأمه زينب بنت مظغون، روى علما كثيرا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من الستة المكثرين، روي له 2630حديثا.

كان من فقهاء الصحابة ومتقيهم وزهادهم، حج ستين واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة، وأتاه اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها، ومناقبه كثيرة.

قال ابن المسيب: لو شهدت لأحد انه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر، توفي رضي الله عنه قرب مكة بعد الحج سنة 74هـ.

أهمية الحديث:

قال ابن رجب الحنبلي: "هذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لاينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنا ومسكنا فيطمئن فيها. ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر، يهيئ جهازه للرحيل، وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم".

مفردات الحديث:

"منكبي": هو مجمع الكتف مع العضد.

المعنى العام:

1. لفتة تربوية حانية:

إن تواضع النبي المربي وأخذه بمنكب شاب في مقتبل العمر، لفتة تربوية حانية تنم وتدل على تواضع جم منه صلى الله عليه وسلم وتدل أيضا على شفقته ورحمته وتدل أيضا على نصح تام ورغبة في إيصال الخير فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خص ابن عمر الشاب الحدث ليلفت نظره وهو في أوائل طريق حياته إلى أمر عظيم ينشطه به على مايستقبل من بقية العمر ويذكره أهمية الجد والاجتهاد في استباق الأوقات قبل فواتها.

وهذا يدل على مدى حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته، واهتمامه بالشباب منهم خاصة، فيا ليت الدعاة والمربين يولون الشباب الاهتمام الذي يستحقون، فيبينوا لهم مايشفعهم ومايضرهم، ويأخذوا بأيديهم إلى طريق الخير والبناء والتعاون والنماء، وإن مايقع من انفلاتات على مستوى التصورات والأفكار والمناهج، هو نتيجة طبيعية لجهل شبابنا وانغماسه في الملذات والشهوات البهيمية، في غفلة من العلماء والدعاة والمصلحين...

وإن سبب إيراد هذا الحديث في هذا الوقت بالذات، هو ما لاحظته وغيري من تحول إيجابي عند عدد لايستهان به من الشباب خلال شهر رمضان الأبرك، حيث كانت السمة البارزة فيه هي القرآن وأهله، من خلال المساجد والجمعيات والمنابر الإعلامية، تأسيا بالمبادرة الملكية السامية، التي يتكرر كل سنة تكريم أهل القرآن من خلال جائزة محمد السادس لحفظ وترتيل وتجويد القرآن الكريم...

وإنها بحق، التفاتة طيبة بالقرآن وأهله، والشباب منهم خاصة، ومساهمة متواضعة مني أوردت هذا الحديث لإذكاء روح الإيجابية، ونفي الاتكالية والتواكلية، والركون إلى فكر الانعزال بحجة بعض النصوص الصحيحة، كالحديث الذي بين أيدينا، فنتوصل في النهاية بإذن الله تعالى، إلى أن التدين والاهتمام بالقرآن الكريم، والزهد في الدنيا ليس هروبا من الواقع، بل هو رجوع إلى مصدر القوة للبناء والتقدم والبناء والتشييد...

2 نظرة النبي صلى الله عليه وسلم للدنيا:

"كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" كلمتان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما هذا الشاب كن في الدنيا أي ليكن شأنك في هذه الحياة بين أحد أمرين: كأنك غريب، أو عابر سبيل وكلاهما يجمعه معنى واحد ألا وهو السفر فإن الغريب مسافر والعابر للسبيل مسافرومجمل الحديث يدل على أنه ينبغي لكل مؤمن أن يحقق هذا المعنى في حياته وهو الاستشعار أنه في سفر، كم هم الذين غفلوا عن هذا الأمر، أكثر الناس يظن أنه في دار إقامة، في دار قرار، في دار بقاء لا زوال لها إلا بعد آجال وأعمار ثم يحدث الله مايشاء من مايجري ويكون.

لكن الأمر أقرب من ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوجه هذه الوصية لشيخ كهل قارب القبر بل وجهها لشاب صغير في أول عمره قد يكون بلغ العشرين أو لم يجاوزها.

وإن الغريب قد يشتغل في غربته في بعض مايتشغل به المقيمون من أخذ مسكن أو مشرب أو مأكل أو غير ذلك لكنه لايشتغل اشتغال الذي وطن نفسه على البقاء فمازالت أحكام السفر عليه قائمة ولازال يمني نفسه ويعدها بالارتحال وبلوغ المنزل والمقصد الذي يسعى إلى بلوغه وقصده وهو غايته وهي الدار الآخرة.

والوضعية الثانية التي ينبغي للمؤمن أن يسعى إلى تحقيقها هي أن يكون عابر سبيل، أي أن يكون في حاله وشأنه واستعداده للآخرة واستعداده لبلوغ قصده كذلك الذي سار في طريق فاستظل تحت ظل شجرة ثم ذهب وتركها. وعابر السبيل أقل أثقالا من الغريب، فالغريب قد يسكن وقد يستقر لبرهة من الزمن وقد يشتغل بما يشتغل به المقيمون لكن عابر السبيل مظاهر السفر والتعب عليه بادية وقلبه بسفره مشغول لايأنس إلى أحد ولاياوي إلى أحد بل همه وشغله في بلوغ غايته وقصده كلنا يسعى ويشتغل للوصول إلى رحمة الله عز وجل إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فالواجب على كل أحد أن يشتغل بهذه الغاية وأن يسعى إلى تحقيقها.

إن الفهم السليم لهذا الحديث وغيره مما هو في معناه مخالف تماما لمن يدعي ويقول: دع الدنيا واهجرها. فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن كذلك. كان عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح يدخر قوت أهله لسنة وكان صلى الله عليه وسلم يواعد الناس ويجلس لهم ويخطط لأمر مستقبلهم فيما يتعلق بطاعة الله عز وجل وفيما يعين على ذلك من أمر الدنيا لكن الذي ندمه والذي يخالف مقتضى ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغربة هو أن يشتغل الإنسان بهذه الدنيا عن الآخرة وأن تكون هي همه ومحل اهتمامه وعنايته، عليها يوالي وعليها يعادي وهي التي بها يحب وبها يكره ولها يعطي ولها يمنع هذا الذي ينبغي أن نسلم منه وأن نصون أنفسنا وقلوبنا ومجتمعنا وشبابنا منه.

إن الغربة والسفر، أو بمعنى آخر الزهد في الدنيا، هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فهو ليس بتحريم الطيبات وتضييع الأموال، ولابلبس المرقع من الثياب، ولا بالجلوس في البيوت وانتظار الصدقات، فإن العمل الحلال والكسب الحلال والنفقة الحلال عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، بشرط أن تكون الدنيا في الأيدي، ولاتكون في القلوب، وإذا كانت الدنيا في يد العبد لا في قلبه، استوى في عينه إقبالها وإدبارها، فلم يفرح بإقبالها، ولم يحزن على إدبارها.

قال ابن القيم في وصف حقيقة الزهد: (وليس المراد من الزهد رفضها . أي الدنيا . من الملك، فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء مالهما).

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من أزهد البشر على الإطلاق وكان يحب الملبس الجميل والمأكل اللذيذ وحبب إليه النساء، وجعلت قرة عينه في الصلاة.

لذلك أوردت هذا الحديث لنستظل بوافر ظلاله، فنصحح المفاهيم، ونوحد التصورات، وننطلق إلى العمل النافع الصالح، لأننا في حالة سفر، علينا أن نتزود ولن نجد خيرا من التقوى، وأن نساهم في عملية الإصلاح والبناء، ولعل إصلاح وبناء الإنسان هو المنطلق، ولن يكون ذلك إلا بتصحيح التصورات وضبط المفاهيم لتجنب الأخطاء والزلات، والله أسأل أن يصلح شبابنا حتى يكون شباب قرآن وعمران...آمين والحمد لله رب العالمين.

فوائد الحديث:

- المبادرة إلى عمل كل شيء في وقته.
- الحض على تقصير الأمل، لأن ذلك يدعو إلى صلاح العمل وينجي من التراخي والكسل .
- الحث على اغتنام الفرص للمزيد من الطاعة وعدم التباطؤ فيها.
- الفهم السليم للزهد هو أن يجمع المرء بين القرآن والعمران.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

الموت وسكراته

■ إعداد الأستاذ: محمد الموذن

■ الحمد لله هو الأول فلا أول له، وهو الآخر فلا نهاية له، قضى بالفناء على كل شيء فقال عز من قائل "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" وقال عز من قائل:« كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون"سورة القصص/الأية:89، نحمده سبحانه تقدس في جلاله وتنزه في علاه وهو الكبير المتعال نشهد أنه الله الذي لاإله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة ونشهد أن محمدا عبده المصطفى ونبيه المجتبي شهادة نرجو نفعها يوم لقائه، اللهم صل على "محمد وعلى آله وأصحابه ورضي الله عن التابعين وسائر من والاه، من يطع الله ورسوله فقد سعد وأصاب ومن يعص الله ورسوله فقد خسر وخاب، أما بعد:

فيقول الحق تبارك وتعالى في سورة ق "وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد" وقال تعالى في سورة آل عمران "كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه".

عباد الله! جرى قضاء الله وقدره، وهو الحكيم في كل قضاء وقدر أن يبتلي عباده بالموت. الموت باب وكل الناس داخله، للموت كأس وكل الناس ذائقها، جرى قضاؤه وقدره أن ينهي سبحانه حياة العباد ليلفت أفكارهم إلى قدرته، ويوجه أنظارهم إلى غلبته، ويستيقن العباد أنهم مغلوبون على أمرهم، تهيمن عليهم قدرة خالقهم فيذعنون لله في غلبته، ويخضعون له في جبروته، وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير، فإذا استيقنوا ذلك ائتمروا بأمره إذا أمر، وانتهوا بنهي الله إذا نهى، استعدادا للقاء ربهم ووفاءا بعهد الله لهم.

أيها الناس: إن الموت حقيقة مرة في هذا الوجودلا يجادل فيه مجادل ولايشك فيه شاك، والموت هو الحقيقة التي فرضت سلطانها على الناس كلهم، لافرق بين غني وفقير، وحاكم ومحكوم، وأمير ومأمور وملك أو رسول فلاينفلت من قبضة الموت غني لغناه، ولا سلطان لسلطانه، ولاجبار لجبروته ولا عالم لعلمه، ولاشريف لشرفه، ولاقوي لقوته، ولاضعيف لضعفه، كل أمام الموت سواء، وكل أمام قضاء الله وحكمه سواء، فقد مرض رسول الله خير من مشى على الأرض واشتد مرضه فخاف الصحابة موته فخرج إليهم عليه الصلاة والسلام معصوب الرأس منهوك الجسم، فخاطبهم قائلا: أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم فهل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله فأخلد فيكم ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون بي، ثم تلا قوله تعالى: "إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون".

أيها الناس: إذا أنزل قضاء الله المحتوم بموت إنسان من عباده أحاط به محبوه وأحاط به أقاربه يدفعون الموت عنه بكل وسيلة ممكنة يدفعونه بالعقاقير أو يدفعونه بالتطبيب أو بالجراحة أو بزرع أعضاء في الجسم أو يدفعونه بالرقية فيحيط كل أولئك بمن يعاني من سكرات الموت يرقونه ويعالجونه، ويحيط الأطباء بمن يعالج سكرات الموت يداوونه ويطببونه، ويحيط به الأقارب يبكون ويدعون له، ويحيط به الأصدقاء يشفقون عليه ويرثون لحاله، ويحيط به الأبناء يتأوهون عليه ويأملون شفاءه، ويجلس بقربه من يقرأ عليه سورة "يس" تهوينا لسكرات الموت، فينام العبد نومة الموت بين رقية الراقين وعجز الأطباء والممرضين وتمني المتمنين، وبكاء الباكين، وإشفاق المشفقين ثم يحكم الواحد القهار بحكمه ويقضي الحي القيوم الدائم بقضائه، ويقول: أنا قضيت فلا راد لقضائي، أنا حكمت فلا معقب لحكمي، أنا المميت فلا يحيي غيري، إذ ذاك يشعر العبد الذي كان يحاول علاجه بخيبة أمله وضآله محاولاته، وعجز جهده ويوقن أن قدر الله ماض، ويدرك أن الدنيا لاقيمة لها، وأنها دار غرور فاتنة وأنها لاتستحق هذه العناية التي يبذلها الإنسان على ظهرها، فتتراءى للإنسان حقيقتها وأنها لاتستحق منه كل مابذل من أجلها، فالدنيا في نظر المؤمن العاقل لاقيمة لها إذا لم تسخر في طاعة الله لأنها زائلة، ومن أحبها وركن إليها كان صبيا محدوعا مغفلا، فالإنسان الذي يعاني سكرات الموت يرى آماله وقد أصبحت آلاما، ويرى أمانيه وقد صارت سرابا، خدعته الدنيا بزخرفها وشهواتها ومظاهرها البراقة فانخدع لها، وغرته لذائذ الحياة فاغتر بها، فلما كان على سرير الموت وقد ذهبت قوته، وشلت حركته وسالت دموعه وطفح عرقه، واصفر لونه، وذل كبرياؤه واشتد ندمه، وتضاعف خوفه، وكثر حزنه وبدا له ماضيه خيره وشره، طاعته ومعصيته حسناته وسيئاته، إذ ذاك يدرك المسكين قيمة الدنيا ويعلم المغرور أية غفلة كان فيها فيندم على مافرط في جنب الله، وإذ ذاك فقط تظهر له الدنيا بما فيها أنها عدو ماكر أو صديق غادر أو حبيب فاجر. عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: كانت عبرا كلها، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لايعمل، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عش ماشئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ماشئت فإنك مجزي به"، وإذا قبض ملك الموت روح إنسان وقف على باب البيت الأهل والأولاد منهم الباكون ومنهم المولولون ومنهم... ومنهم... فيقول ملك الموت ممن هذا الجزع؟ إن كان مني فأنا والله مأمور، وإن كان من ميتكم فهو والله مقهور، وإن كان من ربكم فأنتم به كافرون ولي فيكم عودة بعد عودة حتى لاأبقي منكم أحدا.

معاشر المسلمين: إن الموت أعظم واعظ لمن كان له قلب، وفي سكراته أبلغ عبرة لمن كان له فكر، فمن لم يتعظ بالموت ما اتعظ بغيره، وفي الحديث الشريف: "كفى بالموت واعظا"، وكيف لايتعظ الإنسان بالموت وهو يرى الذين عمروا الدنيا أكثر مما عمروها قد ذاقوا مرارة الموت وذهبوا بلا رجعة، وكيف لايتعظ الإنسان بالموت وهو يرى الذين ملكوا الدنيا وجمعوا حطامها قد أهلكهم البلى، وأصبحوا حديثا يتلى، وتاريخا يقرء كأنهم لم يعمروا الدنيا من قبل.

إن الموت مصيبة أيها الناس، قال تعالى: "فأصابتكم مصيبة الموت"، إنه بلية كبيرة وصفه الله بالمصيبة لأنه هادم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات ومرمل الأزواج والزوجات يجعل الحياة مريرة كريهة، يكدر صفوها، ويذم ابتسامتها وهو وإن كان كما سمعتم فهو راحة لمن كان يحذره ويخاف الله في دنياه ويعمل لما بعده في آخرته، وهو كفارة لذنوب المومن الصابر المحتسب الذي يعاني من سكراته، ويقاسي من شدائده ويكابد من وطأته، روى ابن ماجة والترمذي وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أكثروا من ذكر هادم اللذات" إن ذكر الموت آمارة صحة الإيمان ويقظة القلب ورقة الشعور وخشية الله، أما نسيان الموت فأمارة ضعف الإيمان وموت القلب وبلادة الشعور والغفلة عن الله، بل إن نسيان الموت سبب من أسباب انتشار الفجور والآثام وارتكاب الجرائم، فلو ذكر الموت واتعظ به ظالم ماظلم ولو ذكر الموت متجبر ماتجبر، ولو ذكر الموت عاص ماعصى، ولو ذكر الموت منحرف ما انحرف ولو ذكر الموت مجرم ما أجرم ولو ذكرت الموت سافرة متبرجة ماتبرجت، فالغفلة عن الموت من أسباب ما نعاني من ويلات وظلم وانحراف ورحم الله القائل: صاح شمر ولاتزل ذاكر الموت، فنسيانه ضلال مبين. اللهم ارزقنا اليقين وأبعدنا عن الضلالات وأهلها، اللهم وفقنا لطاعتك وطاعة رسولك، وأدم علينا هذه الطاعة حتى نلقاك وأنت راض عنا يأرحم الراحمين. نفعني الله...

عباد الله: إذا كان الموت شديد الوقع على من يكابده لأنه مصيبة عظيمة وبلية كبيرة ونهاية محتومة، فهو بالنسبة للمؤمن الذي ختم الله له بالإيمان كفارة لذنوبه وراحة له من عناء دنياه وبشارة له بلقاء ربه وحسن مقامه يجد هذه البشارة في آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة. أخرج النسائي بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إذا حضر المومن أتت ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنك إلى رَوْح من الله وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى لينالوه بعضهم بعضا حتى يأتوا به أبواب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فهم أشد فرحا من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ (فيقولون دعوه فإنه كان في غم الدنيا فيقول قد مات، أما آتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية وأن الكافر إذا حضر أتته ملائكته العذاب بمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله عز وجل فتخرج كأنتن ريح جيفة وجدت على الأرض فيصعد بها فلا تفتح أبواب السماء ولاتفتح له أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط..)

أيها الناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، قلنا يارسول الله كلنا يكره الموت، قال: ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المومن إذا حضر جاءه البشير من الله ليس شيء أحب من أن يكون قد لقي الله، فأحب الله لقاءه وإن الفاجر إذا حضر جاءه ماهو صائر إليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه...

اتقوا الله عباد الله وأعدوا للموت عدته، وقدموا في حياتكم الدنيوية أعمالا صالحة، واعلموا أن المرء مجزى بما عمل في دنياه، "وأن ليس للإنسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى"، "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره".

اللهم أحينا على الإسلام، وأمتنا على الإيمان، وتجاوز عنا وتب علينا واغفر ذنوبنا فإنك رحيم رحمان.

الصلاة إلى سترة

للشيخ الطيب بن عبد المجيد بن كيران

■ نحمدك اللهم حمدا يكون سترة لنا من الزلل، ووقاية وعصمة من الخطأ والخطل، ونصلي على سيدنا محمد خير من هدى إلى أقوم قول وعمل، وعلى آله وصحابته المرشدين إلى الطريقة المثلى.

هذا وإن الصلاة إلى سترة من شأن من احتاط ورغب في مزيد الثواب، فقد اختلف العلماء في حكمها بين السنة والندب المؤكد والإيجاب، وأخذ بن عبد السلام كونها من الأمر المفترض، وتصريحهم بتأثيم من تعرض وقد ذهب إمامنا مالك في العتبية إلى مقالة بينة الوجه جلية وهو أنه يطلب من كل مصل أن تكون السترة لديه، وإن يخشى مرور شيء بين يديه ويطلبها مطلقا قال ابن حبيب أيضا، وهو عند اللخمي القول المختار المرتضى وأعظم هؤلاء قدوة للفقيه ولإطلاقهم المذكور وجه وجيه، وهو إطلاق كثير من الأحاديث عن التقييد بخشية المرور وغيرها ليست صريحة في التقييد المذكور، وأيضا الاطلاق أوفق بتعليل من علل مطلوبيتها بأنها أجمع لفكر المصلي وأمنع لارسال بصره وأعون له على الحضور، على أن ما هو من التقييد المذكور إنما هو تقييد للسنية أو الندب الموكد والإيجاب فلا ينافي اثبات القيد بقاء مطلق الاستحباب، ويؤيد بقاءه ظاهر قول عمر كما في البخاري: "المصلون أحق من المحدثين بالسواري وكذا ما فيه أيضا عن ابن عمر رأى رجلا يصلي بين أسطوانتين فأدناه إلى سارية وقال صل إليها، فإن ظاهره طلب السترة مطلقا وعموم الحث عليها إذ يحتمل أن يكون رآه يصلي إلى الفضاء الذي بين الاسطوانتين والدلالة أيضا واضحة قدر نور الصبح لذي عينين ويحتمل أنه رآه حالا بينهما، فالدلالة منه أنه لم يكتف بإخراجه من بينهما حتى أدناه إلى أحدهما وجعلها له سترة، وفيه عن أنس: رأيت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يبتدرون السواري عند المغرب، فاقتضى أن لها مزية على غيرها، ثم من قيد بخشية المرور اثبت حتى بالهرة أو مادونها المحذور، فقد جاء أن المصطفى أراد هر أن يمر بين يديه فحبسه بإحدى رجليه، فالأمر موقوف على أن لايخشى مرور حيوان كبير ولاصغير وترك السترة ممن لم يأمر كل ذلك ناحية التقصير والله تعالى اعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

انتهى بحمد الله وحسن عونه.

ثم إنه رحمه الله نظم ماسطر في رجز فقال:

حمدا لمن أبدى معالم الهدى ... لمقتفيها سترة من الردى
صل على من سن أفضل السنن ... فارد هذا مخطنا إلى السنن
هذا وإن في اتخاذ السترة ... تحرى الاحوط في المزية
هب ان من صلى إلى المرا من ... فحكمها إذ ذاك بالندب قمن
إما تورعا بأن يقدان ... يخرج من خلف إلى الوجوب عن
مع قول جمع أنها مما أمر ... يد على الأخلاق أمرا يستمر
في حالة أن يخشى المرور ... أو منه يومن وذا منصور
قال به الامام في العتبية ... وخصه اللخمي بالمزيه
وابن حبيب قد رآه واعتقد ... صحته وبأحاديث اعتضد
أو إن من قيد بالخشية لا ... ينكر ندنا والمكان قد خلا
فالقيد للسنة واستحباب ... فيه تأكد والايجاب
وحكمة السترة جمع الهمة ... والمنع من ارسال طرف تمه
وكونها اعون في الحضور ... لمنعها النظرإلى المستور
وذا يفيد القول بإطلاق في ... طلبها فاحتط لهذا واقتف
كذلك ماثبت في الأخبار ... ومنه ماذكره البخاري
من استياقهم وهم أهل اقتدا ... إلى السوار لمرجح يرا
وفيه للفاروق أن من قصد ... صلاته أولى بها ممن قصد
وفيه أن أنبه قد أدنى إلى ... سارية من كان عنها انفتلا
فحاصل الأقوال أن من وجد ... سترا قريبا حاد عنه وقعد
إلى القضا لذا صلاته افتقر ... لمرشد يعده مما صدر
وأن من أرشده ماجور ... ففعله وسعيه مشكور

ح ع:2817

القرآن المرتل

حرف الغين

إعداد الأستاذ، عبد الواحد بن سكي

■ حرف حلقي، يخرج من جهة اللسان عند اللهاة. وهي زائدة لحمية صغيرة آخر سقف الفم متحركة متدلية إلى أسفل من الطرف الحلقي للحنك.

وعند النطق به ينحبس جريان النفس معه قليلا، مما يمكن الصوت من التكيف معه. وإعلانه حرفا مجهورا قابلا للتصويت به، لقوة الاعتماد عليه في مخرجه. وهي صفة تقوي ذات الحرف دون الشدة، لأن ضعف لزوم حرف الغين لموضعه، أجرى معه الصوت جريانا تاما، لو أردت أن تمدده لمددته بسهولة ولين، وهذا ما عبر عنه علماء التجويد واللغة بالرخاوة، وما دمنا نتحدث عن النفس والصوت، فلا بأس من توضيح الفرق بينهما. فالنفس بفتح الفاء هو ذلك الهواء الخارج بدفع الطبع، أما إذا كان بالإرادة وعرض له تموج بتصادم جسمي فهو الصوت، ومن هنا يمكن القول أنه قد يجري النفس ولايجري الصوت، وقد يجري الصوت ولايجري النفس، أو ينحصر كلاهما كما في قوله:اقْ.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنه عند التلفظ بحرف الغين، يقع افتراق وتجاف لكل من عنصري اللسان والحنك الأعلى مما يشكل انفتاحا فيما بينهما الشيء الذي يمكن الهواء من الانسياب مع النطق، بلطف، مع ارتفاع لأخر اللسان إلى الحنك الأعلى وهي صفة عارضة لحرف الغين تسمى بالاستعلاء.

ومن الصفات الأخرى لحرف الغين كونه حرفا ثقيلا، وهذا ما عبر عنه فقهاء التجويد في مصطلحهم بالإصمات ومعناه في لغة العرب المنع، أي منعت حروفه من أن يبنى منها وحدها في لغة العرب رباعي الأصول أو خماسيها لثقلها على اللسان. ومن هنا كان ولابد أن يكون معها في كل كلمة رباعية أو خماسية الأصول حرف من الحروف التي جمعت في قولهم: مر بنفل لتعادل خفة هذه الحروف ثقل الحرف المصمت.

إذا لقي حرف الغين حرفا من حروف الحلق وجب بيانه، نحو: رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا (البقرة. 250).

وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة (لقمان:20).

وأبلغه (التوبة6)، وكذلك القاف نحو: لاتزغ قلوبنا (آل عمران8).

وإذا وقع بعدها شين: تأكد بيانها كي لاتتحول إلى خاء، مثل والليل إذا يغشى (الليل:1).

"إذا يغشيكم النعاس أمنة منه" (الأنفال:11).

كما تظهر جليا عند سكونها نحو: واغطش ليلها (النازعات 20).

فيغفر لمن يشاء (البقرة 284).

ويجب تفخيم حرف اللين المتولد عن حركتها: نحو: غافر الذنب (غافر3)وغيض الماء (هود:44)ولا يغوث ويعوق ونسرا (نوح:23).

وإذا جاورت الغين فيجب التبيين: نحو: "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه" (آل عمران:85).

مسطرة زواج معتنق الإسلام بالمغرب

■ إعداد : جمال الدين بن العربي

مدونة الأسرة وزواج معتنق الإسلام.

من المؤكد أن مدونة الأسرة التي صادق عليها البرلمان المغربي وأعدتها اللجنة الاستشارية المكلفة بمراجعة الأحوال الشخصية جاءت بعدة مقتضيات جديدة على المستويات الخاصة بالزواج والطلاق والإرث إلى غيرذلك من البنود والمواد التفصيلية : التي أتت لتغطي نقطا أو تتميما لمقتضيات سابقة أو بناء أخرى جديدة.

لكن المتأمل لجل الكتابات التي شملت عملية تقييم المراجعة وتحليل ما جاءت به مدونة الأسرة على مستوى البناء أو المحتوى لم تنتبه إلى التغيير الذي شمل مجال الحديث عن مسألة زواج معتنق الإسلام التي تغير وضعها عن المدونة السابقة، وتبدو أن الانتباه إلى ذلك لم يحصل نظرا لانشغال الجميع بمواضيع الخلاف التي بدت على سطح المناقشة المتمثلة في مسائل التعدد والولاية، والطلاق ، وكذلك إلى مسألة قلة الكتابة حول هذا الموضوع الذي لم يكن له في مجال البحث الأكاديمي نصيب ، ونعتقد أن من بين الأسباب أن المدونة السابقة لم تتطرق إلى هذا الموضوع مما جعل الانتباه إليه يقل ويمكن القول إن مدونة الأسرة تحدثت عن الأمر ولو بشكل غير مباشر في المواضيع الآتية:

1 . في مدونة الأحوال الشخصية السابقة أشير إلى مسألة مهمة وهي تنبيه المقبيلين على الزواج إلى حرمة زواج المسلمة بغير المسلم في إطار المحرمات حرمة مؤقتة ، وهي من المقتضيات التي تجعل الرجل الذي يود الزواج من مسلمة مغربية أن يكون مسلما أو قد اعتنق الإسلام واعترف بذلك وفق المنشورات الوزارية المنظمة لذلك.

أما مدونة الأسرة السارية المفعول حاليا فإنها لم تكتف بالإشارة إلى حرمة زواج المسلمة بغير المسلم ، بل زادت على ذلك بالتأكيد على حرمة زواج المسلم بغير المسلمة مالم تكن كتابية، وعلى الرغم من أن هذه التكملة في حد ذاتها لا تغير من واقع الأمر باعتبار أن مرجعية المدونة هو الإسلام الذي يحرم زواج المسلم بغير المسلمة مالم تكن كتابية بالنصوص الشرعية الثابتة فإن ذكر ذلك بجانب حرمة زواج المسلمة بغير المسلم يؤكد الثبات الدائم للأساس الديني في الزواج وهي سد نقصد في التفصيل والحديث عن المحرمات حرمة مؤقتة.

2 . حضور إذن زواج معتنقي الإسلام والأجانب ضمن الأوراق الإدارية الضرورية في إقامة ملف عقد الزواج بكتابة الضبط لدى قسم قضاء الأسرة ، في حين أن مدونة الأسرة في نسختها القديمة لم تشر إلى ذلك لامن قريب ولا من بعيد واكتفت بجعل الأمر مرهونا بإجراءات وزارة العدل التي نظمت الأمر في إجراء تكميلي ولم تدرج الإذن ضمن المستلزمات الضرورية لعقد الزواج. لكن الممارسة العملية هي التي استلزمت الإذن لإبرام عقد زواج معتنقي الإسلام.

ويلاحظ على البند الخامس من المادة 65 التي تحدثت عن إذن زواج معتنقي الإسلام والأجانب عدم ذكرها لمصدر الإذن أو الجهة التي ستتكفل بإعطائه لمعتنق الإسلام ولئن كان الحديث عن الإذن مسألة جد هامة لأنها تداركت النقص في المدونة السابقة إلا أنها أخذت واقعا دون ململته، والحال أنه رغم ذلك الجانب الغير تفصيلي فإنه يحيل إلى اعتبار ما جاءت به المناشير المنظمة للإذن الممنوح لمعتنقي الإسلام هي السارية المفعول ، وأن تنظيمه على مستوى المناشير الوزارية بما يحمل ذلك من تعديلات في اعتماد هذا المنهج وإعطاء السلطة الفعلية لذلك للسلطة التنفيذية هي الساري إلى أجل غير مسمى.

الفرق بين زواج معتنق الإسلام والأوضاع المشابهة له

كثيرة هي الأوضاع القانونية التي تشتبه مع زواج معتنق الإسلام والتي تستمد من الممارسة الزواجية المعاصرة المتخذة لأشكال عدة خصوصا تلك المتعلقة بالزواج المختلط أو زواج الشخص المتجنس بالجنسية المغربية.

الفرق بين زواج معتنق الإسلام وزواج المتجنس بالجنسية المغربية

بداية لابد من القول بأن التجنيس يقصد به اكتساب الشخص جنسية دولية لاتربطه بها علاقة قانونية سابقة ، بحيث والقانون المغربي نظم هذه الحالة بموجب ظهير شريف مؤرخ في 6 شتنبر 1958.

والتجنيس بالجنسية المغربية له نقاط التقاء وفروق متعددة مع اعتناق الإسلام من حيث المجال الديني والحقوق المكتسبة على مستوى المواطنة منها:

إن التجنيس لايحكمه الوازع الديني كما هو الحال بالنسبة لاعتناق الإسلام باعتبار الشخص يكتسب جنسية البلد ، دون الحديث عن ديانته ، فقد يكون الشخص المتجنس غير مسلم ومع ذلك يحصل على الجنسية المغربية ، وقد يكون مسلما معتنقا للإسلام وقائما لفرائضه لكنه بحكم القانون والشروط الواجب توفرها لا يحصل على الجنسية.

الشروط الواجبة وفق القانون التي يفرضها ظهير 6 شتنبر 1958 للتجنس بالجنسية المغربية ليست نفسها المتطلبة لاعتناق الإسلام، إذ أن شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله كافية ودليل قاطع على إسلام الشخص ودخوله الاسلام.

. إن سحب التجنيس إذا توفرت شروطه عدم المشروعية أو وقوع احتيال) يكون بناءا على ظهير في حالة التجنس الاستثنائي ، وبمرسوم في حالة التجنس العادي بمعنى أن السحب يأتي من الغير و، بينما ارتداد الشخص عن الإسلام يأتي منه شخصيا بحيث لايمكن أن نحكم على شخص بكونه مرتدا مالم يعلم عن ذلك صراحة بنفسه.

. إن المتجنس بالجنسية المغربية يتمتع بكل الحقوق التي تكفلها المواطنة وهو ما ينطبق بشكل أو بآخر على معتنق الإسلام الذي يصبح في حكم المسلم يستفيد من الحقوق كما يلتزم بالالتزامات التي يفرضها الدين الإسلامي، هذا إذا استثنينا القيدين الواردين في ظهير الجنسية على أهمية المتجنس ، يتعلق الأول بأهلية الانتخاب والثاني بأهلية ولوج الوظيفة العمومية، بحيث لا يكتسبها إلا بمرور خمس سنوات على تجنيسه.

. التجنيس يتطلب إجراءات إدارية وهي صدور قرارات عن سلطة إدارية مختصة بمنح الجنسية وهو ما ينطبق على حالة اعتناق الإسلام حاليا حيث يتم ذلك بواسطة عقد يسمى عقد اعتناق الإسلام يسلم من طرف شاهدين عدلين قصد توقيع قاضي التوثيق عليه وتسجيله في سجلات المحكمة.

. طلب التجنيس يمكن أن يقابل بالرفض من طرف الحكومة ، وهو مالا يستساغ في اعتناق الاسلام ، والسبب في ذلك أن الرابطة في الحالة الأخيرة متعلقة بالشخص وربه، عكس الأولى التي بين الشخص والدولة.

. الزواج الذي يحصل بين الأجنبية والمغربي ينتج عنه اكتساب الزوجة للجنسية المغربية بينما اعتناق الزوج الإسلام لا ينتج عنه بالتتابع إسلام زوجته مالم تعلن ذلك بنفسها وباختيارها دون إكراه ولا ضغط من أي جهة.

. عندما يكون المتجنس بالجنسية المغربية مسلما تطبق عليه القواعد المنصوص عليها في قانون الأسرة ، وهذه الحالة تقترب إلى حد كبير مع زواج معتنق الإسلام باستثناء ضرورة أخذ الإذن في الزواج من الوكيل العام للملك.

الفرق بين زواج معتنق الإسلام والزواج المختلط

الزواج المختلط هو الذي يقع بين رجل وامرأة من جنسيتين مختلفتين ، وهذا الاختلاف قد يكون معاصرا للزواج كأن يتزوج مغربي بفرنسية ، وقد يكون بعد الزواج كما لو تزوج رجل وامرأة يحملان الجنسية المغربية معا، وبعد مضي مدة على زواجهما غير أحدهما جنسيته بمحض إرادته (مثلا تجنس بالجنسية التركية) فهنا يصبح الزوج الذي خلع جنسيته الأصلية أجنبيا والزواج مختلطا.

وإذا لم تكن شكلية الزواج المختلط مطروحة في المغرب في عهد ماقبل الحماية الفرنسية نظرا لأن المسلمين كانوا يعتبرون الزواج من الإسرا ئيليين أو المسيحيين أمر لا يقبله الإسلام، حيث كانوا لا يسمحون لبناتهم بالارتباط بغير المسلمين مهما كانت الظروف وإلا تبرأوا منهن، ونفس الأمر يتعلق أيضا على اليهود المغاربة فديانتهم تحرم عليهم الزواج بغير الإسرائيليين ، فإن هذا الوضع ما لبث أن تغير بفعل تغير الأوضاع السياسية والإجتماعية بعد نزوح الأوروبيين إلى المغرب واستيلائهم على زمام الأمور وفرض الحماية سنة 1912 حيث تم اختلاط الأجانب بالمواطنين والأجانب بعضهم ببعض وظهرت نتيجة لذلك علاقات غير شرعية، نتجت عن ذلك مشاكل الزواج المختلط.

لذلك عمل المشرع المغربي بعد الحصول على الاستقلال على إصدار سلسلة من الظهائر لتفادي تلك المشاكل الاجتماعية المتولدة عنه، ونخص بالذكر صدور منشور بتاريخ 12 ماي 1959 عن الكاتب العام للحكومة والذي يمنع بمقتضاه على ضابط الحالة المدنية إبرام أي زواج مختلط واستمر العمل بهذا المنشور إلى حين صدور ظهير 4 مارس 1960 المتعلق بتنظيم شكل زواج المغاربة من الأجنبيات والمغربيات من الأجانب.

ويأخذ الزواج المختلط صورتين لا ثالث لهما في ظل التشريع المغربي وهما:

1 . زواج يكون أحد طرفيه مغربيا والآخر أجنبيا.

2 . زواج بين أطراف أجنبية.

وهذا يعني أن عنصر الجنسية مهم للغاية ، وضروري لتحديد الشكليات الواجب اتباعها في إبرام عقد الزواج المختلط ، ومع ذلك فإن المشرع المغربي راعى، أيضا، العامل الديني ، فهناك، إذن، ازدواجية (الجنسية، الدين).

وفي المقابل فإن زواج معتنق الإسلام يحضر فيه العنصر الديني بقوة بشكل يجعله يطغى على عنصر الجنسية.

أما فيما يخص المسطرة المتبعة في إنشاء الزواج المختلط فهي تختلف بحسب الصورة التي نحن بصددها :

1 . فيما يخص الزواج الذي يكون فيه الزوجين أجنبيين معا:

في هذه الحالة ينص الظهير المتعلق بالوضعية المدنية للأجانب على خضوعه للقانون الوطني لكلا الزوجين مع إعطائهما الخيار في إبرامه بالشكل المقبول في قانونهما الوطني أو بمقتضى القواعد المنصوص عليها في نظام الحالة المدنية بالمغرب، وعليه فإذا كان الزوجان ينتميان إلى جنسية أجنبية واحدة (إيطالية مثلا) بث في مسألة تحديد القانون الشخصي المطبق على آثار زواجهما بمقتضى قانونهما المشترك، أما إذا اختلفت جنسيتهما (مثلا إيطالي مع ألمانية).

تعين الرجوع إلى القانون الوطني لكل واحد منهما لتحديد آثار الزواج، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن زواج معتنقي الإسلام، إذا كانوا أجانب تطبق عليهم الأحكام التالية إذا استثنينا المسطرة الخاصة بهم.

. يتم إبرام الزواج أمام القنصل إذا كان قانونهم الوطني يسمح بذلك وكان المقبلان على الزواج من جنسية واحدة.

. أو أمام ضابط الحالة المدنية إذا كان قانونهما يقبل هذا الشكل ، وإلا أمام السلطة الدينية إذا كان القانون الوطني لهم يمنع الشكل المدني.

لكن ما يجب الانتباه إليه هو أن معتنقي الإسلام ذوي الجنسية الفرنسية يمكن لهم إبرام زواجهم وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية أو القانون المدني.

2 الزواج الذي يكون أحد طرفيه مغربيا:

يعتبر الزواج المختلط من بين المسائل التي يبرز فيها جليا تطور فكرة النظام العام وتأثرها بالأوضاع السياسية ، وتأثيرها ليس فقط على الفقه والاجتهاد القضائي بل، أيضا، على التفسير الإداري للنصوص التشريعية، وحيث إن أحكام الزواج في التشريع المغربي الداخلي مستمدة من أحكام الفقه المالكي، فإن الزواج الذي يكون أحد طرفيه مغربيا اختلفت أحكامه باختلاف الأوضاع السياسية التي مر منها المغرب إلى أن صدر ظهير 4 مارس 1960 الذي أكد على ضرورة إبرام الزواج طبق الشروط المنصوص عليها في قانون الأسرة الأحوال الشخصية الجاري على الزوج المغربي ، وبهذا فإن الزواج الذي يكون أحد أطرافه مغربيا لا ينظر فيه إلى مقتضيات القانون الوطني للطرف الأجنبي ، بل، وفقط، إلى مقتضيات قانون الأحوال الشخصية المغربي ، وبناءا على ذلك:

يجوز للرجل المسلم أن يتزوج بامرأة كتابية، ولا يجوز للمرأة المسلمة أن تتزوج بغير المسلم . إلا إذا اعتنق هذا الأخير الديانة الإسلامية، فلو أرادت مغربية أن تتزوج برجل فرنسي غير مسلم ، فإن هذا الزواج لايمكن أن يبرم لدى العدول لأن مدونة الأسرة المغربية تمنع ذلك وإن كان قانون الزواج الفرنسي لايأخذ بعين الاعتبار الفارق الديني حيث تنص المادة 39 على موانع الزواج المؤقتة وهي خمسة موانع منها: زواج المسلمة بغير المسلم، والمسلم بغير المسلمة مالم تكن كتابية...» . لكن الوضع يتغير في الحالة التي يعتنق فيها الزوج الفرنسي الديانة الإسلامية ، حيث يجوز له أن يتزوج بالمغربية المسلمة بعد استنفاد المسطرة الخاصة بزواج معتنقي الإسلام.

ويلاحظ أن الظهير السابق قد اقتصر على النظر إلى شروط قانون الأحوال الشخصية الجاري على الزوج المغربي ليس فقط، إلى الزواج المبرم بمقتضى هذا القانون بل أيضا، بالنسبة إلى الزواج لدى ضابط الحالة الدنية ، إذ نصت الفقرة الأخيرة من الفصل الثاني من ظهير 4 مارس 1960 انه يكفي تقديم شهادة الزواج بمقتضى قانون الأحوال الشخصية الجاري على الزوج» لينعقد فورا النكاح حسب صيغة الحالة المدنية».

الكبائر: عقوق الوالدين

للإمام الحافظ محمد شمس الدين الذهبي

■ قال الله تعالى : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، سورة الإسراء / الآية23 . أي برا بهما وشفقة وعطفا عليهما .. إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما » أي لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا سنا، وينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك ، على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوي ، وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك ، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما ، ثم قال الله تعالى : « وقل لهما قولا كريما » أي لينا لطيفا . (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا).

وقال الله تعالى : « أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير» فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره . قال ابن عباس رضي الله عنه : ثلاث آيات مقرونه بثلاث ، لا تقبل واحدة منها بغير قرينتها : (إحداهما) قول الله تعالى : «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول» ، فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه . (الثانية) قول الله تعالى: «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه» (الثالثة) قول الله تعالى: أن اشكر لي ولوالديك» فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه ،لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رضى الله في رضى الوالدين ، وسخط الله في سخط الوالدين». وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : جاء رجل يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد معه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أحي والداك؟ » قال: نعم، قال: « ففيهما فجاهد» مخرج في الصحيحين فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد.

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين» فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراك وفي الصحيحين أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لايدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر» ، وعنه صلى الله عليه وسلم : « لو علم الله شيئا أدنى من الأف لنهى عنه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة. وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار» وقال صلى الله عليه وسلم :«لعن الله من سب أباه ، لعن الله من سب أمه». وقال صلى الله عليه وسلم : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه » يعني العقوبة في الدنيا قبل يوم القيامة.

وقال كعب الأحبار رحمه الله: إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب ، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان بارا بوالديه ليزيده برا وخيرا.

ومن برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا ، فقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : يارسول الله إن أبي يريد أن يجتاح مالي . فقال صلى الله عليه وسلم : « أنت ومالك لأبيك».

وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو؟ قال : هو إذا أقسم عليه أبوه وأمه لم يبر قسمهما ، وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما، وإذا سألاه شيئا لم يعطهما، وإذا ائتمناه خانهما.

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن أصحاب الأعراف ؟ فقال: أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار، وإنما سمي الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار عليه أشجار وثمار وأنهار وعيون ، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد، فمنعهم القتل في سبيل الله عن دخول النار، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة ، فهم على الأعراف حتى يقضي الله فيهم أمره.

وفي الصحيحين أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله من أحق الناس مني بحسن الصحبة؟ قال: « أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك، قال : ثم من؟ قال: أمك. قال : ثم من؟ قال: أبوك ثم الأقرب فالأقرب» . فحض على بر الأم ثلاث مرات ، وعلى بر الأب مرة واحدة ، وما ذاك إلا لأن عناءها أكثر وشفقتها أعظم ، مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل.

رأى ابن عمر رضى الله عنهما رجلا قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة فقال: يا ابن عمر أتراني جازيتها؟ قال : ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنت ، والله يثيبك على القليل كثيرا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم ظلما، والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا».

وقال صلى الله عليه وسلم» الجنة تحت أقدام الأمهات » وجاء رجل إلى أبي الدرداء رضي الله عنهم فقال يا أبا الدرداء » إني تزوجت امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول» الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه» . وقال صلى الله عليه وسلم» ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن : دعوة المظلوم، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده» . وقال صلى الله عليه وسلم » الخالة بمنزلة الأم أي في البر والإكرام والصلة والإحسان، وعن وهب بن منبه قال : إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه: ياموسى وقر والديك ، فإن من وقر والديه مددت في عمره ووهبت له ولدا يوقره، ومن عق والديه ، قصرت في عمره ووهبت له ولدا يعقه.

وقال أبو بكر بن أبي مريم : قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل. وقال وهب: قرأت في التوراة: على من صك والده الرجم.

وعن عمر بن مرة الجهني قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس ، وصمت رمضان ، وأديت الزكاة وحججت البيت، فماذا لي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم» من يفعل ذلك كان مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين إلا أن يعق والديه». وقال صلى الله عليه وسلم» لعن الله العاق والديه» .

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « رأيت ليلة أسري بي أقواما في النار معلقين في جذوع من نار فقلت : ياجبريل من هؤلاء ؟ قال: الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا».

وروي أنه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض. ويروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه وأشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المشرك والزاني والعاق لوالديه.

وقال بشر: ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله والنظر إليهما أفضل من كل شيء.

وجاء رجل وامرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصمان في صبي لهما فقال الرجل : يا رسول الله ولدي خرج من صلبي ، وقالت المرأة : يارسول الله حمله خفا ووضعه شهوة وحملته كرها ووضعته كرها وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه.

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الأخضر الريسوني

مبادئ أصيلة في حق الإنسان

■ زعماء الديمقراطية في العالم الغربي يتباهون ويتحدثون عادة في مؤتمراتهم واجتماعاتهم عن التعايش السلمي وحقوق الإنسان، ويعتقدون أنهم هم الذين أتوا بهذا المبدأ المريح للإنسانية وتحريرها، وربما تجاهلوا أو يتجاهلون ما أعلنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام جموع المسلمين في الحج عند ما قال» كلكم من آدم وآدم من تراب ، لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى».

وهذا في الوقت الذي كانت الأمم كلها تعتمد على التفاضل العنصري ، وعلى تفاوت الطبقات الإنسانية ولم يناد الإسلام بمبدأ المساواة مجرد نداء بل عمل " طبقه رسول الله (ﷺ) عند ما عامل زيد بن حارثة الذي كان عبده ومولاه معاملة الأخ لأخيه ، والقريب لقريبه وأحب أسامة بن زيد كأولاده، وأعلن مرة أن من عنده مظلمة متى يريد الاقتصاص لها فليأخذها مني فقال رجل من صحابته : أنا يارسول الله أذكر أنك حركت سوطك مرة على دابتك فوقع علي فآذاني ، فكشف رسول الله عن ظهره وعرضه عليه ليضربه بالسواط اقتصاصا منه، ولكن الرجل لم يقتص منه بل بلغ من تأثره لهذه العدالة بأن قبل ظهره ، ومن أروع الأمثلة أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد دعي ليتسلم مقاليد المدينة، فسافر إليها مع مولاه إلى القدس، وكانا لبعد المسافة يتعاقبان جملا واحدا، ولما اقتربا إلى مدينة القدس ، كانت نوبة الركوب لعبده فقال لسيده عمر بن الخطاب : إنه يتنازل عن نوبته حتى يكون دخول الخليفة في المدينة في عزة ومهابة، فأبى عمر بن الخطاب ذلك ، ولم يقبل تغييرا للنوبة ودخلا إلى المدينة، وكان السيد راجلا والعبد راكبا.

تلك كانت عدالة الإسلام في أوجها، عدالة تقوم أساسا على الإيثار واحترام حقوق الإنسان ، عدالة تشجب الظلم والتدمير ، ومانشاهده اليوم من تجاوزات وهجوم على الإسلام بدعوى محاربة الإرهاب إنما هو نوع من النكران للحضارة الإسلامية وفضلها على الغرب وتأثيرها العلمي على أوربا التي كانت يوما تعيش في دياجير الجهل، وتتلهف على ما كان يتمتع به المسلمون من ميزات وما كانوا يوطدونه من مبادئ الإنسانية الحقة ، وهاهو ذا الغرب يتنكر لتلك المبادئ التي سطرها التاريخ في صفحاته الذهبية ويطلقون على المسلمين تهمة الأصولية ويقيمون عليها الدنيا ولا يقعدونها حتى أصبحت تهمة خطيرة تلحق بالمسلم المتمسك بدينه ، الحريص على أداء شعائره.

إنهم يقرنون كلمة الأصولية بالإرهاب ، وما يرتكبونه في حق المسلمين من جرائم القتل والتدمير لمجرد مطالبتهم بالحقوق المشروعة ألا يعد ذلك إرهابا؟ وما يقوم به شارون وعصابته في حق شعب فلسطين ألا يسمى ذلك إرهابا؟ وأي خطر من كلمة الأصولية التي تحولت لديهم إلى غول مرعب؟ وهل من عيب أن ينظر الإنسان إلى أصوله ومبادئه وحقوقه الأصيلة، ويلتزم بأصول من شريعته ودينه، وهل يجوز لهم اتهام المسلم بالأرهاب إذا طلب الأصول والمبادئ السليمة؟ وهل إذا تزيا بزي المؤمنين الصالحين الشرفاء ، كأسلافه العظماء وأبدى اهتماما خاصا بعبادة ربه وطاعة نبيه أن يصبح إنسانا متمردا ومنحرفا عن المساواة والديمقراطية ويتهم بالرجعية والتخلف؟

فياله من وضع مقلوب واتهام باطل لايقوم على أساس..!!

ما لأجله خلق الإنسان

■ إعداد: د حمامة بوزردة

إن نجاح الإنسان يتوقف على مدى قدرته على تحقيق هدفه، فإذا نجح في ذلك وفي اختيار الوسائل الموصلة إليه تم له ماأراد ، وهو موجود في هذه الدنيا عن غير اختيار منه ، وللنجاح فيها يجب تحقيق توافق بين أهدافه والمقصد الأصلي الذي من أجله أوجده خالقه على هذه البسيطة ، فما هي الحكمة التي من أجلها خلق الإنسان؟ الإجابة عن هذا السؤال يتطلب تناول هذه العناصر:

1. نفي العبثية عن الوجود.
2. الفوز المقصود تحقيقه.
3. الوسائل الموصلة إليه.

النقطة الأولى:

نفي العبثية عن الوجود:

إن الله تعالى نزه نفسه عن العبثية حيث قال :(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش العظيم) سورة المؤمنون / الآية: 115. 116 بمعنى : أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا ، وقيل: للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب ،(وأنكم إلينا لا ترجعون) أي لا تعودون في الدار الآخرة (فتعالى الله الملك الحق) أي تقدس أن يخلق شيئا عبثا ، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك ، وفي آية أخرى قال سبحانه : (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) أي لا يترك الإنسان في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يترك في قبره سدى لا يبعث ، بل هو مأمور منهي في الدنيا ، محشور إلى الله في الآخرة.

فما هي البراهين العقلية على بعث الإنسان والتي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز؟

وماهو الفوز المقصود تحقيقه في هذا البعث؟

النقطة الثانية:

براهين عقلية على بعث الإنسان من خلال القرآن

لقد ذكر الحق سبحانه في القرآن الكريم عدة براهين عقلية على بعث الإنسان بعد موته، ومنها:

1. قدرة الله تعالى على النشأة الأولى للإنسان دليل على إعادة بعثه من بعد موته حيث قال عز و جل :(وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) سورة يس / الآية 78. 79.

2. الدقة في خلق الإنسان وفي مراحل تكوينه دليل على قدرته سبحانه على البعث ، قال الله تعالى « أيحسب الإنسان أن يترك سدى ، ألم يكن نطفة من مني تمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والانثى، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى» سورة القيامة/ الآية:36 إلى 40.

3. الدقة في مراحل تكوين الإنسان وفي إعادة الحياة إلي الأرض بالاخضرار، قال تبارك وتعالى: يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت، وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، سورة الحج /الآية :5 إلى 7.

4 إعادة النفس باليقظة بعد الموت في المنام حيث قال الحق سبحانه « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » سورة الزمر /الآية : 42.

النقطة الثالثة :

الفوز المقصود في البعث

المقصود بفوز الإنسان في العبث هو نجاته من عذاب جهنم واستمتاعه بنعيم الجنة، قال اللله تعالى:(كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) سورة آل عمران/ الآية:185.، وكما يفوز المؤمن بنفسه بدخول الجنة يفوز كذلك بأهله المؤمنين ، فيرفعون إلى مرتبته إن كانوا في منزلة أدنى حيث قال سبحانه : والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين) سورة الطور الآية:18-19. وقال في آية أخرى:(قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) سورة الزمر/ الآية 15.

والانسان يخسر نفسه في الآخرة بخسارة أعماله في الدنيا ولهذا قيل : بقاء الفعل في الدنيا ببقاء فاعله ، وبقاء الفاعل في الآخرة ببقاء فعله.

فما هو الفعل الذي يجعلنا نفوز بالجنة في الآخرة ؟ وما هي الأفعال المتفرعة عنه والتي تمكننا بأعلى الدرجات فيها؟ وما هي مصدرها؟

منبع هذه الأفعال هو الهدي الذي أنزله الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، سواء في القرآن الكريم أو في سنته الشريفة، حيث قال عز وجل« قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، وكذلك نجزي من أسرف ولم يومن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » سورة طه / الآية123 إلى 126. وقال : (قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولائك أصحاب النار هم فيها خالدون، سورة البقرة / الآية 37 و38.

التوحيد أصل العبادات

إن العبادات هي مضمون الهدى الذي امرنا الله تعالى باتباعه حيث قال :(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) سورة الذاريات / الأيتان 57.56. والعبادة هي ما كلف به العبد من الطاعات نحو ربه ونفسه ومحيطه(أسرته ومجتمعه والحيوانات والبيئة) ، قال الله عز وجل « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» ، سورةالأنعام / الأيتان 162. 163. ، وكل خير عبادة يثاب صاحبه عليه وكل شر معصية يعاقب عليه ، قال تبارك وتعالى:(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، سورة الزلزلة/8. ، واصل العبادات شهادة أن لا إله إلا الله.

فلماذا جعلت الشهاد ة أصل العبادات؟ وما هو جزاء الموحد وعقاب الكافر؟ وما هي النصوص الدالة عليه؟

أولا: التوحيد أصل العبادات : الجزاء والأدلة.

لقد جعل الله تعالى توحيده حدا فاصلا بين أهل الجنة وأهل النار، وأخبرنا أنه يغفر لمن يشاء من عباده ما لم يصل فساده وشره إلى حد الكفر أو الشرك به سبحانه ، حيث قال « إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، سورة المائدة / الآية72. وقال « إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء، سورة النساء / الآية48 وعن معاذ رضي الله عنه قال« كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ما بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل فقال: يامعاذ ، هل تدري ما حق الله على عباده ؟ وماحق العباد على الله ؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله ، أن لايعذب من لا يشرك به شيئا ، فقلت : يارسول الله أفلا أبشر به ؟ قال : لا فيتكلوا، وقال« ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: ما من عبد قال لا إلاه إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت : وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق ، قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق.قلت: وإن زنى وإن سرق، قال وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر، وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر، وفي أفضلية التوحيد على سائر العبادات قال عليه السلام « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الإيمان».

فلماذا جعل التوحيد أصل العبادات وأفضل شعب الإيمان؟

الحكمة من جعل التوحيد أصل العبادات

الأصل في الإنسان أن لا يعمل صالحا أو يكف عن فساد إلا رغبة في أجر أو رهبة من عقاب ، وإذا كان الإفلات من العقوبة البشرية ممكنا لاستحالة المراقبة المطلقة في حقهم ، فإن الله تعالى موجود في كل زمان ومكان وفي جميع الأحوال ، لهذا السبب اقتضت الحكمة الربانية أن يكون التوحيد أصل العبادات ، والترغيب والترهيب من أهم صفات الأنبياء التي دفعتهم إلى العمل الصالح ونيل رضا الله عنهم ، حيث قال في حقهم« إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) سورة الأنبياء/90. وأخبرنا أن الذي يجمع بين رسالات كل الأنبياء هو التوحيد في قوله تعالى « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» سورة الأنبياء/92 ثم أكد سبحانه أنه لايضيع أجر العمل الصالح الذي يقدمه الموحدون، حيث قال « فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون» سورة الأنبياء/94، وبين عز وجل فضل الشعور بمراقبته في الامتناع عن الشر والفساد في قوله : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون، كما قرن في كثير من الآيات بين الإيمان والعمل الصالح من جهة ، وبين الكفر والعمل الفاسد من جهة أخرى ، من ذلك قوله تعالى:« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ، الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولائك أصحاب النار هم فيها خالدون، سورة البقرة الآية /257.256.

واستثناء من الأصل السابق قد يفعل بعض الكفار الخير من غير نية التقرب به إلى الله ولا رجاء الثواب عليه في الآخرة، وعدالة الله -حينئذ- تكون موافقة لنواياهم بالنسبة للجزاء الذي يقتصر على العطاء الدنيوي و يخسرون الجنة ،

←

لأنهم لم يكونوا يومنون بها ، حيث جاء في قوله تعالى:« «إن جهنم كانت مرصادا ، للطاغين مآبا» وإذا كانت الأعمال الصالحة لم تشفع لمن مات على الكفر بالدخول إلى الجنة ، فإنها تخفف من دركات العذاب في جهنم مقارنة مع الطغاة والمنافقين ، كما قد تكون سببا لهدايتهم إلى التوحيد كما سنرى عند الحديث عن حياة القلوب وموتها.

حياة القلوب وموتها

يعتبر قلب الإنسان بالنسبة إلى جوارحه كالأمير بالنسبة لجنوده، فهم طوع أمره في الصلاح والفساد ، وإلى هذا المعنى أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله :« ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب»، وإذا كان من شأن الجسدأن يعترض للمرض أو الصحة ، للموت أو الحياة ، فالروح أيضا تمرض وتصح ، تموت وتصح ، تموت وتحيى، ويطلق القلب على الروح في كثير من النصوص الشرعية ، فهو يصح بالطاعات ، ويحيى بالتوحيد ، ويمرض بالمعاصي ، ويموت بالكفر ، أو الشرك ، وإذا مات قلب الإنسان ماتت حواسه (البصر والسمع) وإن كان صاحبها حيا، وفي هذه الآية يتحدث الله تعالى عن الكفار والطغاة الذين لم يعتبروا بهلاك أمثالهم فيقولون :«أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » سورة الحج/ الآية: 46 ، وشبه الله عز وجل الكفر بالعمي وبالظلام وبالحرارة الشديدة وبالموت، والإيمان بالبصر وبالنور وبالبرودة وبالحياة فقال :« ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه» سورة فاطر/ الآية:18. فكيف تحيى القلوب ؟ وكيف تموت؟

أولا

المعاصي تميت القلوب

القرآن يحيي القلوب ويجعل تابعه يفعل الخير وينفع نفسه ومحيطه ، والمصالح التي يقوم بها تكون بمثابة النور الذي يرشد غيره، ويميزه عن الكفار الذين غرقوا في ظلمات المفاسد التي تزينها لهم أهواءهم قال سبحانه وتعالى:« أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ...» سورة الأنعام الآية: 122 والموحدون يسهل الله عليهم فعل الخير ، فيقومون بها عن طواعية واختيار، بينما الذين يكفرون بالله واليوم الآخر يشق عليهم ذلك بسبب تراكم رجس أعمالهم الفاسدة على قلوبهم، قال الله تبارك وتعالى :(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء، إن ما يرتكبه العاصي من المفاسد تطبع على قلبه شينا فشينا حتى يموت ضميره ، فيرى الأمور على غير حقيقتها، قال الحق سبحانه:« ويل يومئذ للمكذبين، الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الأكل معتد أثيم ، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين...» سورة المطففين / الآية10 . وفي سورة البقرة ذكر الله تعالى كيفية الطبع على القلوب فقال: إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تزدهم لا يومنون، « إلى أن قال:«وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن المصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ». ثم شبه الله المفسدين بأضل من الأنعام حيث قال:« ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها » . نستخلص إذن من هذه النصوص معادلة تقول : الكفر يدفع إلى ارتكاب المفاسد، والمفاسد تؤدي إلى الكفر.

ثانيا

مجاهدة النفس تحيي القلوب

الدنيا دار ابتلاء وفتن نفتن فيها بالمصائب والضراء،وقد نمتحن بالشهوات والسراء، فمن جاهد نفسه بالصبر في المحن والضراء ، وباجتناب الشهوات المحرمة وعدم الطغيان والجبروت في السراء أورثه الله تعالى قلبا طاهرا ميسرا للصلاح وراغبا عن الفساد ، ومن جزع عند المصائب ولم يرض بالقضاء واستسلم للأهواء والظلم والكبرياء ، أمات الله قلبه بتراكم الآثام والأوزار عليه، وأذن للشيطان بالسيطرة عليه وتزيين الفواحش والمنكر له، تلك هي أسباب هداية الإنسان أو تضليله ، قال الله سبحانه:« كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة » سورة الأنبياء/ الآية 35. ، وقال موسى عليه السلام مستغفرا ربه عن عبادة قومه للعجل : « إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء...» سورة الأعراف /155 ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :« تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين : أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنةما دامت السماوات والأرض، والآخرة أسود مربدا كالكوزمجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا ألا ما أشرب من هواه، فقلب الإنسان إذن بين يدي الرحمان يقلبه كيف يشاء ، فمن أطاعه هداه ومن عصاه أضله، حيث قال سبحانه :« يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، إن الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون، والطاعة التي هي سبب الهداية تكون في القول والعمل معا ، حيث قال تعالى :« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما» ، وهداية الله لعبده المطيع تكون بخلق الرغبة في فعل الخير وإيجاد الحلاوة فيه ، قال الله عز وجل :« ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولائك هم الراشدون» وفي الحديث الشريف :(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» وفي حديث هرقل لأبي سفيان:« سألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حين يتم، وسألتك هل يرتد أحد سخطا لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لايسخطه أحد، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم كيفية التفاعل بين العبادة والهداية في هذا الحديث القدسي:« إن الله تعالى قال: « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه».

فما هي أهم الفرائض التي تقربنا إلى الله تعالى ؟ وما هي مقاصدها؟

مقدمات الموافقات للإمام الشاطبي

■ إن أصول الفقه في الدين قطعية الظنية، والدليل على ذلك أنها راجعة إلى كليات الشريعة، وما كان كذلك ، فهو قطعي.

بيان الأول ظاهر بالاستقراء المفيد للقطع .

وبيان الثاني من أوجه:

أحدهما : إنها ترجع إما إلى أصول عقلية ، وهي قطعية ، وإما إلى الاستقراء الكلي من أدلة الشريعة ، وذلك قطعي أيضا ، ولا ثالث لهذين إلا المجموع منهما، والمؤلف من القطعيات قطعي ، وذلك أصول الفقه.

والثاني : إنها لو كانت ظنية ، لم تكن راجعة إلى أمر عقلي ، إذ الظن لا يقبل في العقليات ، ولا إلى كلي شرعي لأن الظن إنما يتعلق بالجزئيات إذ لو جاز تعلق الظن بكليات الشريعة ، لجاز تعلقه بأصل الشريعة لأنه الكلي الأول ، وذلك غير جائز عادة . وأعني بالكليات هنا : الضروريات والحاجيات ، والتحسينيات . وأيضا لو جاز تعلق الظن بأصل الشريعة لجاز تعلق الشك بها ، وهي لاشك فيها ، ولجاز تغييرها وتبديلها ، وذلك خلاف ما ضمن الله عز وجل من حفظها.

والثالث: إنه لو جاز جعل الظني أصلا في أصول الفقه، لجاز جعله أصلا في أصول الدين، وليس كذلك هنا ، لأن نسبة أصول الفقه من أصل الشريعة كنسبة أصول الدين وإن تفاوتت في المرتبة ، فقد استوت في أنها كليات معتبرة في كل ملة ، وهي داخلة في حفظ الدين من الضروريات.

وقد قال بعضهم : لاسبيل إلى إثبات أصول الشريعة بالظن ، لأنه تشريع ، ولم نتعبد بالظن إلا في الفروع ولذلك لم يعد القاضي ابن الطيب من الأصول تفاصيل العدل، كالقول في عكس العلة، ومعارضتها ، والترجيح بينها وبين غيرها ، وتفاصيل أحكام الأخبار ، كأعداد الرواة ، والإرسال ، فإنه ليس بقطعي.

واعتذر ابن الجويني عن إدخاله في الأصول بأن التفاصيل المبينة على الأصول المقطوع بها داخلة بالمعنى فيما دل عليه الدليل القطعي .

قال المازري: وعندي أنه لاوجه للتحاشي عن عد هذا الفن من الأصول وإن كان ظنيا، على طريقة القاضي في أن الأصول هي أصول العلم، لأن تلك الظنيات قوانين كليات وضعت لا لأنفسها ، لكن ليعرض عليها أمر غير معين مما لا ينحصر . قال فهي في هذا كالعموم والخصوم. قال ويحسن من أبي المعالي أن لا يعدها من الأصول ، لأن الأصول عنده (هي الأدلة والأدلة عنده ما يفضي إلى القطع ، وأما القاضي ، فلا يحسن به إخراجها من الأصول ، على أصله الذي حكيناه عنه، هذا ما قال.

والجواب : أن الأصل على كل تقدير لابد أن يكون مقطوعا به ، لأنه إن كان مظنونا تطرق إليه احتمال الخلاف ، ومثل هذا لا يجعل أصلا في الدين عملا بالاستقراء ، والقوانين الكلية لا فرق بينهما وبين الأصول الكلية التي نص عليها ، ولأن الحفظ المضمون في قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» سورة الحجر: 9. إنما المراد به حفظ أصوله الكلية المنصوصة ، وهو المراد بقوله تعالى:« اليوم أكملت لكم دينكم» سورة المائدة /3. أيضا، لأن المراد المسائل الجزئية ، إذ لو كان كذلك ، لم يتخلف عن الحفظ جزئي من جزئيات الشريعة ، وليس كذلك لأنا نقطع بالجواز، ويؤيده الوقوع، لتفاوت الظنون ، وتطرق الاحتمالات في النصوص الجزئية ، ووقوع الخطأ فيها قطعا فقد وجد الخطأ في أخبار الأحاد وفي معاني الآيات ، فدل على أن المراد بالذكر المحفوظ ما كان منه كليا ، وإذ ذاك يلزم أن يكون كل أصل قطعيا.

هذا على مذهب أبي المعالي، وأما على مذهب القاضي ، فإن إعمال الأدلة القطعية أو الظنية إذا كان متوقفا على تلك القوانين التي هي أصول الفقه ، فلا يمكن الاستدلال بها إلا بعد عرضها عليها ، واختبارها بها ، ولزم أن تكون مثلها ،بل أقوى منها ، لأنك أقمتها مقام الحاكم على الأدلة، بحيث تطرح الأدلة إذا لم تجز على مقتضى تلك القوانين ، فكيف يصح أن تجعل الظنيات قوانين لغيرها؟

ولا حجة في كونها غير مرادة لأنفسها حتى يستهان بطلب القطع فيها، فإنها حاكمة على غيرها، فلابد من الثقة في رتبتها ، وحينئذ يصلح أن تجعل قوانين ، وأيضا لو صح كونها ظنية، لزم منه جميع ما تقدم في أول المسألة وذلك غير صحيح، ولو سلم ذلك كله، فالاصطلاح أطرد على أن المظنونات لا تجعل أصولا ، وهذا كاف في إطراح الظنيات من الأصول بإطلاق ، فما جرى فيها مما ليس بقطعي تفريعا عليه بالتبع ، لا بالقصد الأول.

انظر: الموافقات ج1

الدروس الحسنية المباركة العطرة أفضل منهج تربوي معاصر للثقافة الإسلامية

■ إعداد الأستاذ : مصطفى أصبان الحسني

■ كلما حل بنا هلال شهر رمضان المعظم ، إلا واشرأبت نفوسنا وتطلعت قلوبنا الظمآنة إلى ارتشاف العلم من معينه الصافي، ومنبعه الأصلي، من تلكم الدروس الحسنية الرمضانية العطرة التي يأمر بها مولانا أمير المؤمنين محمدالسادس نصره الله وأيده . ويشرفها بحضوره الفعلي ، ويزيدها قيمة ونضارة ، اختياره لنخبة من العلماء الأجلة من داخل المملكة الشريفة ، وخارجها، إنها مناسبة جليلة غالية عند كل مسلم ، لقد قل مثل هذه الدروس العلمية أن تحيى بهذا الشكل التقليدي الكلاسيكي المفيد، فهي تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وبهذه الحلقات العلمية المفيدة ، نتذكر مجد المسجد ورسالته وغايته العظمى فمنذ زمان أعطى المسجد رجالا أكفاء وعلماء وأبطالا ، كانوا مثال الهيبة والوقار والاحترام من الأمة ، إن تنوع الموضوعات التي تقدم وتطرح للتحليل والمناقشة من طرف السادة العلماء ، تزيد القارئ والمشاهد والمستمع اتساعا في أفقه ، ومتعة وفائدة وأية فائدة ! ومن هذا الدرس الحي المباشر الذي ينقل عبر التلفزة ، تتحقق لدينا المقولة المأثورة : «العلم يؤخذ من أفواه الرجال» ، فلو كب المتعلم أو القارئ على هذا العالم الجليل أو الباحث المقتدر لما وجده مهيئا هكذا، أو لكلفه البحث عنه متاعب كثيرة ، وهنا أقول : الحمد لله الذي تتم بفعله الصالحات ، فقد أجرى الله تعالى نعمه على عباده المؤمنين المخلصين ، فانتشر العلم ، وتحقق الخير والبركة وأجرى الله الفائدة على أيديهم ، ومنهم سبط النبي الأمين ، وسليل الدوحة النبوية الشريفة مولانا أمير المؤمنين محمد السادس . دام عزه ونصره . وجعله الله منارا للعلم والعلماء فجزاه الله عنا خيرا كثيرا، لما يبذل من قصارى جهده لتنوير شعبه الكريم بمبادئ دينه وعلوم شريعته ، فحماها ودافع عنها، ويأمر دائما بمواصلة الوعي العلمي ونشره ، مشجعا العلماء والباحثين، والدليل على هذا واضح وجلي فبدءا بتحقيق المخطوطات والتراجم ، وتنظيم ندوات ومحاضرات علمية دينية وتأسيس مجالس علمية جديدة، حتى تتمكن من توسيع نشاطها، ثم تأتي هذه الدروس الحسنية المحمدية كتتويج لهذا العمل الإسلامي الكبير النبيل، فالمنهج التربوي الذي نستخلصه من هذه الدروس : أنها تقدم أولا بقديم لطيف وجميل ، يناسب الدرس ، والمقام ، ثم تأتي الديباجة المختصرة لأهم النقط التي سيتعرض لها السيد المحاضر ، وذلك بالغنة المغربية وهي كعنصر تشويق تجلب السامع أو المشاهد إلى ما بعد ذلك ، وهذا يتم من طرف ما يعرف ب (السارد)، والسارد في القديم كان له قيمة من الحلقات العلمية وكان بطريقة تناوبية بين طلبة العلم ، وكاد أو ربما اختفى هذا المصطلح العلمي الأصيل ، ولم نعد نراه إلا في هذه الدروس الحسنية المحمدية المنورة . ثم إن هذه الدروس لها وقت مشهور ومعلوم بعد صلاة العصر ، وهو وقت أنسب لعامة الناس ، فيه ينقطعون عن مشاغلهم الدنيوية ويتفرغون للاستفادة ، وهذا زاد الدروس تشجيعا وإقبالا وجمالا . إن أمير المؤمنين مولانا محمد السادس . أعز الله أمره . يحرص كل الحرص كما كان أبوه المرحوم بكرم الله مولانا الحسن الثاني قدس الله روحه . على إحياء سنة جده المصطفى عملا بالحديث الشريف " الدين النصيحة" وعملا أيضا بالحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس في رمضان ، وهاهو سبط النبي الأمين حامي الملة والدين أمير المؤمنين وسادس المحمدين . حفظه الله ونصره . الملك العالم ، الذي لا يألو جهدا في ميدان العلم والمعرفة والدين فيجود علينا وعلى الأمة جميعا ، بوقته الثمين ، في هذا الشهر المبارك رمضان بهذه الجواهر المكنونة من الدروس الحسنية المحمدية المصونة ، فتكرم بها على العالم كله وبصفة خاصة على العالم الإسلامي ، فما أجلها من نعمة ! وما أعظمها!

فبلدنا المغرب المسلم والحمد لله، وبقيادة سيدنا الهمام مولانا محمدالسادس . حفظه الله يعنى بالثقافة الإسلامية عناية جادة ، وذلك من أجل بعث ثقافي إسلامي جديد ليساير حياتنا المعاصرة ، فمن تشجيع حفظ القرآن ، وتجويده عن طريق التباري ، وبناء دور القرآن، إلى الكشف عن المخطوطات ، وإرسال البعثات الدينية لتوعية الجالية المغربية بالخارج ، إلى بناء المساجد وتوسيع المجال لمحو الأمية ، وليس هناك فرصة أثمن وأغلى ، من مناسبة شهر رمضان الأبرك ، فتذكرنا بمدرسة النبوة التي هدفها الأسمى أن نتدارس فيها تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتأسى بأعماله صلى الله عليه وسلم ونقتدي بسيرته في جهاده وصبره وطهارته وخلقه العظيم مصداقا لقوله تعالى " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، والله الموفق إلى جادة الصواب.

الشيخ العلامة سيدي أحمد بن عبد العزيز العدلي (رضي الله عنه) في استدفاع القحط

يامالك الملك ياذا الجود ياصمد ... يامحسن منعم يا واحدا أحد
ياخالق الخلق أنواعا وأرزاقهم ... ومالهم من سوى أفضاله مدد
يامنعما يا رحيما للعباد إذا ... ضاقت بهم كُربٌ وعمهم كمد
يامن تفرد بالعلم المحيط بالعفو ... العظيم وما لفضله أمد
أنت الذي ترحم العبد وإن عظمتاً ... منه الخطايا وما في فعله رشد
أنت الذي تنزل الغيث وترسله ... من بعد ما قنط الناس وما اجتهدوا
أنت الذي تبسط الرزق وتقسمه ... على الخلائق إن جدوا وإن قعدوا
بكل أسمائك الحسنى بذاتك ويا ... رب أغثنا فإننا خاننا الخلد
واسق عبادك غيثا نفعه أبدا ... يمكث في أرضنا ويذهب الزبد
أحي بلادك يا محيي العظام يا ... غوث الأنام إذا ماهمهم نكد
أنزل علينا سحابا وخزائن جو ... دك لتحيا به البيداء والبلد
إليك مد الورى طرا أكفهم ... وأخلصوا لك في الرغبة واجتهدوا
فلا تخيبهم وانظر لفاقتهم ... رحماك ياخير من مدت إليه يد
بجاه خير الورى من بشفاعته ... نستدفع السوء والملجأ والسند
عليك أزكى صلاة ساح وابلها ... لاينقضي خيرها وينقضي الأمد

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1092
السنة38
الجمعة 20 شوال 1425 هـ الموافق
3 دجنبر 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا
للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1092 الجمعة 20 شوال 1425 هـ .الموافق 3 دجنبر 2004م

المنهج الاستقرائي في البحث والتدريس للعلوم الإسلامية...

■ إعداد الاستاذ: عبد الله اكديرة

الحلقة الثانية

وفي أكثر الحالات يتبنى الأستاذ توجه بعض الدارسين إلى أن البحث، الدرس كله نشاطا ذاتيا لأفراد أو زمر منهم، أو لجماعة الفصل كله .. بعد تمحيص لموضوعه حتى ليكون أكبر من إمكاناتهم، ثم يزودهم بوسائل إعداده وإنجازه، ويمهد لهم السبيل إليه..

ولا أكتمك أيها الأخ الفاضل أن علماء الإسلام قديما كانوا روادا في العمل بالمنهج الاستقرائي البنائي تأصيلا وتطويرا، فلا تستغرب أو تنكر أو تستنكر حين أقول لك: إن الباحثين في مناهج البحث العلمي يؤكدون أن علماء الإسلام قد ميزهم الإسلام. في عصوره الزاهرة بحصانة فكرية، طرحوا بواسطتها أي لون من ألوان التفكير الغريب المستورد، وتمسكوا بمنهج إسلامي خالص دفعهم إلى الإبداع والابتكار، فكانت نزعتهم الاستقرائية من خلال ماوصل إلينا من علومهم ومناهج بحثهم، ليس فيها أدنى تأثير من الأفكار والآراء الوافدة... ولهذا حرصوا على تفصيل شروط هذا المنهج، وأكدوا المراحل العلمية التي يقوم عليها الدليل الاستقرائي، فأفاضوا الحديث عن مراحله في الملاحظة والتجريب، وعن الفروض وتحقيقها، لإعطاء القانون العلمي صفته الحقيقية...

وتجسيدا للنزعة الاستدلالية الاستقرائية بدليل القصد والحكمة، استعرض القرآن الكريم أمام الإنسان المسلم الظواهر الجزئية المحيطة به، ودعاه إلى أن يتدبرها ويمحص علاقاتها وروابطها، ليرتقي من ذلك إلى أسبابها ومسبباتها، ولذها استفاد المسلمون من دراسة القرآن الكريم، فقد بث فيهم النزعة العلمية، وغرس فيهم الميل الشديد إلى البحث والنظر والملاحظة والتجربة، وتلك هي أسس المنهج العلمي الحديث في التفكير والاستقراء...

أخي الكريم، لقد تمثل منهج الاستقراء العلمي في القرآن الكريم بنصوص كثيرة ومتنوعة،عالجت مواضيع تشكل بمجموعها أسس ذلك التصور العلمي في الاستدلال:

1. يقول الله تعالى: "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون"(البقرة:168).

2 ويقول عز وجل: "أفرأيتم ماتمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون، نحن قدرنا بينكم الموت ومانحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون، ولقد علمتم النشأة الأولى، فلولا تذكرون. أفرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون، لو نشاء لجعناه حطاما فظلتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرمون. أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون، لو نشاء جعلنا أجاجا، فلولا تشكرون. أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون، نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين، فسبح باسم ربك العظيم"(الواقعة:7358).

3. ويقول جل شأنه: "فلينظر الانسان مم خلق، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب)(الطارق:75)

4. ويقول عز من قائل: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون"(النحل: 78).

5. ويقول تبارك اسمه وتعالى جده: "ولاتقف ماليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا"(الإسراء:36).

6. ويقول وقوله الحق: "وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إناثا، أشهدوا خلقهم، ستكتب شهادتهم ويسألون"(الزخرف:19).

إن التوجه الاستدلالي الاستقرائي يشكل الأصل الحقيقي لمنهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي، ثم تطور المنهج بعد ذلك على أيدي العلماء المسلمين، ففصلوا مراحله، وكشفوا قواعده، ومارسوه في بحوثهم العلمية، فتوصلوا من خلال تطبيقه إلى نتائج مهمة في ميادين علمية مختلفة.

وقد عرفوا كل مراحله بدقة وتفصيل:

1. الملاحظة: عرفوها بأنها المراقبة المقصودة من العقل الإنساني وحواسه لظاهرة معينة، بغية اكتشاف الخصائص التي تقوم عليها، للوصول إلى المعرفة الصحيحة لها.. كما عرفوها أنها اقتصار المستقرئ على مشاهدة سير الظاهرة كما هي واقعة في الطبيعة لاكتشاف أسبابها وعلاقتها وتطوراتها وتحولاتها..

2 التجربة: ملاحظة ظاهرة ما أو مجموعة من الظواهر ملاحظة مقصودة تتضمن تغيير بعض الظروف الطبيعية التي تحدث فيها تلك الظاهرة رغبة في الوصول إلى صفاتها وخصائصها التي لايكون في إمكاننا الوصول إليها بمجرد الملاحظة المجردة دون تعديل في ظروفها الطبيعية.

3. عرفوا أن الفرق ليس كبيرا بين الملاحظة والتجربة، وأنه قد تتداخل المرحلتان.. ولكنهم تبينوا أن التجربة أهم من الملاحظة المجردة، لأن التجربة توفر عنصر الزمن للدارس الباحث، لأنه يستطيع تكييف الظاهرة وقتما يشاء، أما الملاحظة المجردة فتتطلب انتظار زمن. يطول أو يقصر. في انتظار حدوث الظاهرة وتطوراتها المتوقعة...

4. عرفوا أن التجربة فعالة، والملاحظة منفعلة.. وقد يتداخلان، فالباحث والدارس يلاحظان ثم يجربان، ثم يلاحظان نتائج التجربة..

5. ومن القرآن عرفوا أن الملاحظة حث وتدريب وتمرين للعقل والحواس عند الإنسان المسلم على أسس مايقره من المنهج العلمي ويرتضيه.

وأن هذا الإنسان تتعدد حوافزه الداعية إلى الملاحظة والتجريب. وتتنوع موضوعات هذه الحوافز الفطرية في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، لتحقق استجابات إنسانية سليمة قويمة نحو التطلع إلى العلم الصحيح النافع...

فالملاحظة التي يحث عليها القرآن تبعث في نفس الإنسان المسلم الشعور والإحساس والوعي بما تعد ظواهر الكون والطبيعة آيات دالة عليه موصلة إليه ... وهي في نفس الوقت اتجاه تجريبي عام يحث عليه القرآن ويحض، ليكون لدى المسلمين شعورا بتقدير الواقع، ويجعل منهم. وذلك ماوقع. آخر الأمر واضعي أسس العلم الحديث... وقد أكد ذلك الشاعر المفكر المسلم محمد إقبال رحمه الله..

أما الجاحظ رحمه الله فقد خاطب المسلمين بقوله: "...إن الله عز وجل لم يردد في كتابه ذكر الاعتبار، والحث على التفكير، والترغيب في النظر، والتثبت، والتعرف، والتوقف...إلا وهو يريد أن تكونوا علماء من تلك الجهة، حكماء في هذه التعبئة..."

وها هو جابر بن حيان رحمه الله يخاطب كل باحث دارس مسلم: "وافهم مانقول، وانظر هذا الشيء الذي يكون على هذه الصفات قبل التدبير، ويحصل له هذه الخواص عند الممارسة".

ويؤكد فيقول في خطاب آخر للباحث الدارس المسلم: "... ولاتجربن منها شيئا حتى تستقصي دراستها، وتجمع فصولها، ويتخيل لك ماذكرناه، فهي أمر ذو نظام وتدبير وترتيب، إما بطريق الميزان، أو بطريق التدبير، فإذا تخيل لك ذلك، فأوقع حينئذ التجربة".

وهاك ياأخي الفاضل مقولة للعالم الطبيب أبي الحسن الطبري، فتأملها جيدا: "إن الدلائل على الأمراض الباطنة سبع: الأول منها النظر، كما تدل صفرة اللون وبياض الشفة وورم القدم على برد الكبد، وكما يدل سواد اللون وبياض الشفة على ورم الطحال، وتدل حمرة اللون في الوجه مع الحمى الحارة على ورم الرئة، وتدل صفرة اللون والعين على اليرقان".

أما أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب فيحذر من الاغترار بحسن الصدفة والاتفاق عند نجاح تجربة غير حاذق: "لاتظنن بأمي ولاعامي لادربة معه بالقياس والنظر حذقا بالصناعة الطبية ولا عمل صوابا. إن كان منه. إلا على حسن الاتفاق..."

وفي قول آخر يحذر من الاعتماد على قراءة الكتب وحدها دون التجربة: "لايكفي في إحكام صناعة الطب قراءة كتبها، بل يحتاج مع ذلك إلى مزاولة المرضى، إلا أن من قرأ الكتب وزاول المرضى يستفيد من قبل التجربة كثيرا"

ويعود جابر بن حيان رحمه الله ليؤكد: " ويجب أن تعلم أننا نذكر في هذه الكتب الخواص مارأيناه فقط، دون ماسمعناه أو قيل لنا أو قرأناه، بعد أن امتحناه وجربناه، فما صح أوردناه، ومابطل رفضناه، وما استخرجناه نحن قايسناه على أقوال هؤلاء القوم..."

ولابأس ياأخي الكريم من أن أذكر لك شروط الملاحظة التجريبية عند جابر بن حيان:

- العلم بهدف التجربة.
- الإحاطة بجميع المراحل والإرشادات اللازمة لنجاحها.
- تجنب ماهو مستحيل عقيم لاينفع في التجربة ولا في الملاحظة.
- تحري الزمن المناسب والفصل الملائم لها.
- حسن اختيار مكانها وأدواتها ووسائلها.
- دقة اختيار المساعدين الكفاة مواضع الثقة...
- الإعداد التام مع التفرغ الكامل لها...
- الصبر والكتمان والداب
- عدم الانخداع بالنتائج إلا بعد تكرار التجارب بنفس شروطها للتأكد منها.. وعدم التسرع بإقرار النتائج مع ذلك إلا بعد مطالبة عدد من المساعدين بإعادة اختبارها للمزيد من التأكد..

ولعلك الآن يا أخي تتساءل: وماذا عن الفروض وشروطها؟

والفروض عند علماء المسلمين هي التكهنات التي يصنعها الباحثون الدارسون منهم لمعرفة الصلات بين الأسباب ومسبباتها.. وشروط الفرض العلمي السليم عندهم هي:

أ. إمكان تحققه تجريبيا.

ب. أن يفسر الظواهر والوقائع تفسيرا مبررا منطقيا معقولا طبيعيا.

جـ. أن يحتمل التصديق أو التكذيب بتكرار التجربة واختبار نتائجها..

د. أن يكون صدقه بثبات مطابقته للواقع تجريبيا.

هـ. أن يكون كذبه بثبات فساده عند مخالفته للواقع تجريبيا.

وأعوذ معك ياأخي إلى جابر بن حيان لنسمع منه أن: "العلوم إنما تخرج بالعقل والقياس، وإنما يكون العقل والقياس بقوة العلم، وقوة العلم إنما تكون بكثرة الرياضة في أصول الصناعة". ولايعزب عنك ياأخي أن الرياضة يعني بها هذا العالم الفذ الجليل الممارسة الدؤوب للمزيد من التحقق.

وقد أجرى الجاحظ تجربة أراد بها التحقق من فرض قيل له وقرأه: "إن ريح السذاب يشتد على الحيات (والسذاب نبات طبي ضيق الورق متقابله) فألقيت على وجوه الأفاعي جذر السذاب، فما كان عندها إلاكسائر البقل".

وقد عبر الطبيب العظيم الرازي عن الفرض العلمي بمصطلح (الحدس) وعرفه بأنه مسألة تقريبية لايمكن البت بصدقها إلا بعد التجربة وملاحظة تكرر آثارها، ومما قاله: "إنما يحتاج إلى مابه يعرف فعل الدواء في البدن المعتدل، لأن الأبدان الخارجة عن الاعتدال بلا نهاية، فليس يمكن من أجل ذلك أن يعرف فعل الدواء في كل واحد منها، فلذلك وجب أن يعرف فعله في البدن المعتدل، ثم يحدس منه على غير المعتدل حدسا مقربا. مثل هذا الحدس: إن التمر متى كان يسخن البدن المعتدل فهو يسخن البدن الخارج عن الاعتدال إلى الحر إسخانا أشد والبدن الخارج عن الاعتدال إلى البرد إسخانا أقل".

أما الحسن بن الهيثم فقد حَدَسَ حَدْساً وهو: "الحركة ليست تكون إلا في زمان" وتثبت من حدسه أو فرضه هذا بتجربة استخدم فيها آلة سماها (الدوامة ذات الألوان المختلفة)، واستخلص من تجربته أن الأضواء والألوان الممتزجة بها تحتاج إلى زمان محسوس للانتقال من مصدرها الذي تشرق فيه إلى المرور بالأوساط الشفافة والسقوط على الأجسام الكثيفة"

أما ابن سينا رحمه الله فيسمي الفرض العلمي: (الظن الفكري) لأنه يعتقد أن التثبت من الفرض ليس مطلقا.. وهو الصواب: "وأقول على سبيل الظن: إنه يشبه أن يكون لكل كوكب مع الضوء المشرق من لون، بحسب ذلك اللون" فها أنت ترى أنه لا يعتبر الفرض إلا ظنا لايغني من الحق شيئا، ولهذا فهو يفترض عدة (ظنون) مستخلصة مشاهداته (ملاحظاته) يعلل من خلالها احتمالات سلوك الظاهرة تبعا لتعدد الحالات...

أما القوانين أو النظريات التي كان العلماء المسلمون يصوغونها بعد التثبت من طبيعة الفروض العلمية، فتبقى دائما تجريبية، ولكن على اعتبار أنها بصيغها الفكرية الدقيقة أحكام كلية عامة نتيجة لاستقراء الظواهر الجزئية الملاحظ صدقها بعد تكرار التجارب وتعددها وتنوعها...

فالعالم الفيلسوف الكندي يؤكد أن الفرض ولو كان ممكنا محتمل الوقوع لابد أن يخضع للتجريب.. وقد افترض: "أن نصول السهام إذا رمي بها في الجو ذاب الرصاص الملصق بها الموصول بالنصول" قال: "وقد جربنا هذا القول لأنه كان عندنا ممكنا، لكن لنصنع التجربة بهذه المحنة".

ولماذا كان كل هذا الجهد والمشقة؟ يجيب ابن الهيثم: "لعلنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي يثلج الصدر، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التي يقع عندها اليقين، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف، وتنحسم مواد الشبهات، وما نحن مع ذلك براء مما هو في طبيعة الإنسان من كدر البشرية، ولكننا نجتهد بقدر ماهولنا من القوة الإنسانية، ومن الله نستمد العون".

أخي الفاضل الكريم، بهذه الكلمة النيرة أختم هذه الرسالة والإشارة التي ماقصدت بها إلا توضيح الرؤية لي ثم لك عن المنهج الاستقرائي البنائي عند علماء المسلمين.. وأذكر نفسي قبل غيري بالحديث النبوي الشريف الذي أخرجه الحافظ بن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى عليه وآله وصحبه وسلم:"قليل العلم خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء علما إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه، إنما الناس رجلان: عالم وجاهل، فلا تمار العالم، ولاتحاور الجاهل"... وأنا في هذه الرسالة والإشارة قصدت المحاورة لا المماراة..ومن الله التوفيق وهو من وراء القصد، يهديني وإياك سواء السبيل..والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.